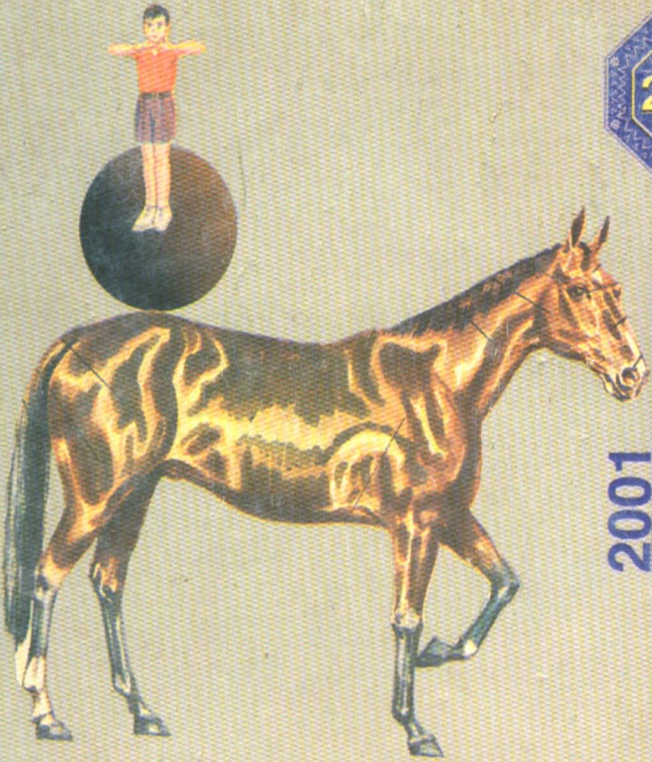
مكتبة الأسرة 2001

مهرجان القراءة للجميع 2001



الجمال الأسود

تأليف: آنا سويل

مراجعة: مختار السويفي

روائع الأدب العالمي للناشئين

ترجمة: هند عبد الفتاح

الجمال الأسود

الجمال الأسود

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: الجواد الجميل
التقنية: ألوان مائية على ورق
المقاس: ٢٥×٣٥سم

إذا تحدثنا عن حركة الجواد فإننا لابد أن نخوض فى تعريفات كل حركة، ومن الحركات الطبيعية للجواد: حركة الخطوة الخبب والرمح، وحركة الخطوة أو حركة المشى، يكون فيها أحد أعضاء الجواد فى حالة ارتكاز، مع إجراء هذا الارتكاز بالتتابع لكل من قوائم الجواد الأربعة: الأمامية والخلفية بالتبادل. أما الخبب فهى حركة قفز قطرية، مع الارتكاز المتتابع للقوائم المتعارضة، وتفصل بين الحركات فترة زمنية للتقدم والرمح عبارة عن حركة تجمع بين الارتكاز والتأرجح مع الارتكاز بالتتابع، وكل خطوة من خطوات الرمح يفصلها عن الأخرى زمن اندفاع للأمام، ويختلف هذا الزمن باختلاف طول الخطوة وسرعة الرمح.

محمود الهندى

الجمال الأسود

تأليف: أنا سويل

ترجمة: هند عبد الفتاح

مراجعة: مختار السويفى

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

الجمال الأسود

تأليف: أنا سويل

رسوم: بارى دافيس

ترجمة: هند عبدالفتاح

مراجعة: مختار السويفى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخًا تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

هذه ترجمة لرواية:

BLACK BEAUTY

By: ANNA SEWELL

مقدمة

كثيرا ما لجأ كتّاب أدب الأطفال على اختلاف لغاتهم إلى الحيوانات والطيور فى قصصهم. وليست قصص الطير والحيوان فى «**كليلة ودمنة**» ببعيدة عن الأذهان والتى تعد تحفة أدبية تزخر بالحكم والأمثال التى مازالت تحتل مكانة هامة حتى اليوم ومازالت قراءتها متعة للكبار والصغار.

وقد كان للأدب العربى أيضا نصيب فى هذا المضمار، ولأن العرب نبغوا فى فن الشعر العربى فلم يكن غريبا أ ن يسهم أمير الشعر العربى أحمد شوقى بديوان للأطفال يضم قصائد رائعة على ألسنة الطير والحيوان.

أما بالنسبة للأدب الانجليزى، فان «**الجمال الأسود**» تعتبر من كلاسيكيات أدب الأطفال ليس فقط فى بريطانيا ولكن على مستوى العالم. وهى من الأعمال ذات المغزى الأخلاقى الهادف، حيث كان لها أكبر الأثر فى إلغاء

مايعرف «بالزمام الكابح» الذى كان يعكس مشكلة أخلاقية فى سوء معاملة البشر للخيول بما كان يسببه هذا الزمام من معاناة للحيوان مثل صعوبة التنفس وآلام الرقبة وعدم الاتزان وقصر النظر وغيرها.

وعلى الرغم من أن الرواية تقدم سيرة ذاتية لحصان، إلا أنها تفيض بالمعانى السامية واللمسات الانسانية الدافئة.

نشرت رواية الجمال الأسود فى عام ١٨٧٧ م قبل وفاة الكاتبة بعام واحد، فى الفترة التى شهدت ظهور العديد من الحركات والجمعيات المدافعة عن حقوق الحيوان، بجانب الحركات النسائية والحركات المضادة للاستعمار، وحركات الاصلاح الاجتماعى. وعلى الرغم من أن كاتبة الرواية البريطانية المولد «أنا سويل» (١٨٢٠ - ١٨٧٨) لم تكن عضوا فى أى من هذه الحركات، إلا أن روايتها هذه جعلت سوء معاملة الخيل قضية عامة آنذاك. ويرى البعض أنها أسهمت عمليا فى الاقلاع عن الكثير من الممارسات السيئة التى سادت ضد الخيل مثل بتر ذيولها، واستخدام ماعرف «بالزمام الكابح» وكان استخدامه فى تلك الفترة مجرد موضة انتهت تماما فى نهاية القرن الماضى. وربما يرجع اهتمام «أنا سويل» بالخيل إلى أنها كانت تقود عربة يجرها الحصان

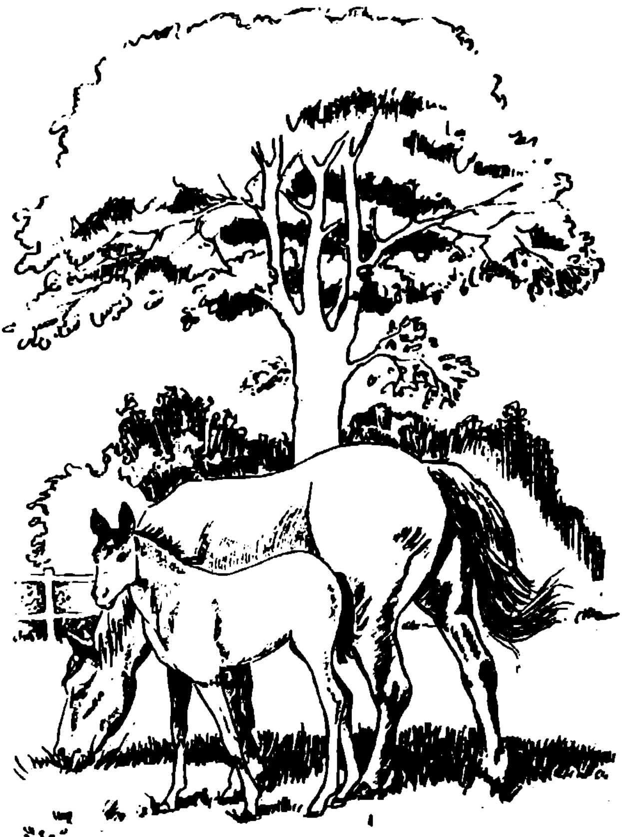
لتوصل والدها إلى مقر عمله يوميا، على الرغم من إعاقتها التى كانت تسبب لها صعوبة فى السير.

ويقول أحد النقاد بالرغم من أن «أناسويل» استهدفت بث الرأفة بالحيوان وخاصة الحصان فى قلوب قرائها الصغار، إلا أنها كانت أكثر تأثيرا على القراء الكبار أيضا. كما يرى البعض أن الرواية هى صرخة ضد استرقاق البشر للحيوان.

بدأت علاقة «أنا سويل» بالأدب فى مرحلة مبكرة من شبابها حيث كانت تقوم بتنقيح أعمال والدتها «مارى سويل» التى كانت هى أيضا من أشهر أدباء الأطفال والناشئين التى تحقق أعمالها أعلى نسبة مبيعات لما بها من لمحة دينية أخلاقية.

قدمت الرواية على الشاشة الفضية فى أكثر من فيلم كان آخرها فى ١٩٩٤ للمخرجة كارولين طومسون، وهو الفيلم الذى قال النقاد أنه اقرب معالجة سينمائية للنص الأصلى.

«المترجمة»



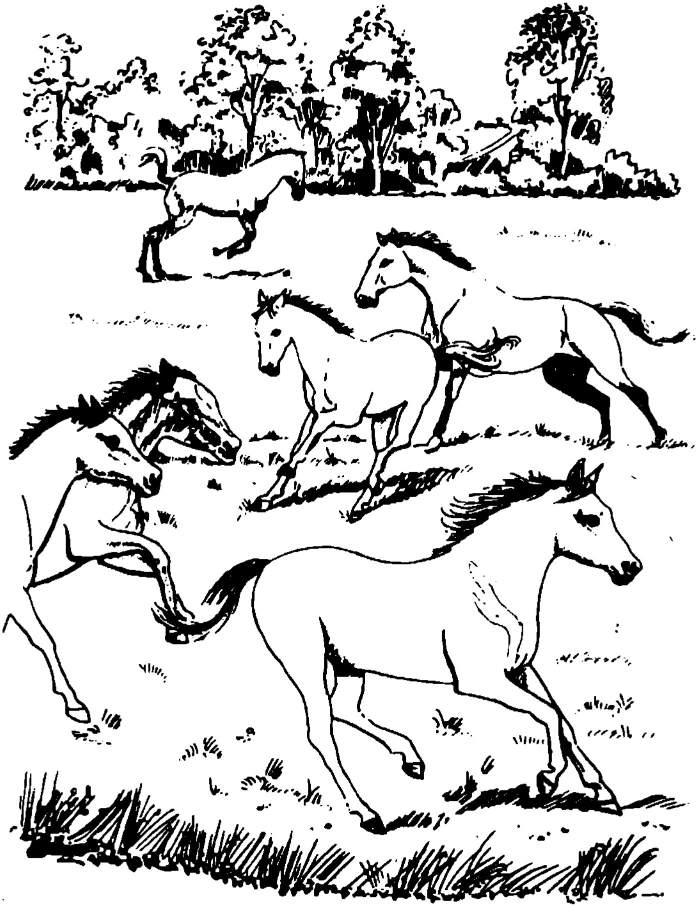
الفصل الأول

سنوات طفولتى السعيدة

عندما أعود بذاكرتى إلى أيام طفولتى المبكرة، أتذكر المروج الخضراء المنبسطة والبركة الصغيرة التى تظللها الأشجار الخضراء المورقة، وزهور السوسن الجميلة الطافية على صفحة الماء.

عندما كنت مهرا صغيراً كنت أرضع لبن أمى لأننى لم أكن كبيرا بما يكفى لأكل العشب. كنت أجرى بجوار أمى طوال النهار وفى المساء أنام بجانبها.

فى الجو الدافئ كنا نقف بجوار البركة تحت ظلال الأشجار، بينما فى الشتاء نذهب إلى حظيرة دافئة بجوار بستان التفاح.



كان معى فى الحقل ستة أمهر أخرى، كنت أنا أصغرها جميعا بينما كان بعضها كبيرا كالجياد اليافعة. لقد كان الجرى واللعب معها متعة كبيرة، وفى بعض الأحيان كنا نتبادل الركلات ونعض بعضنا البعض.

عندما تمادينا فى ذلك ذات مرة، **نادتنى أمى إلى جوارها وقالت:**

«أنا واثقة من أنك سوف تشب طيباً رقيقا وأنك لن تتعلم العادات السيئة. تحكم دائما فى قوتك، ارفع قدميك عندما تعدو ولا تركل أو تعض حتى ولو كان ذلك أثناء اللعب».

كنت دائما أتذكر كلمات أمى، فقد كانت حكيمة ومحبوبة من السيد الذى اعتاد أن يناديها باسم «بيت» على الرغم من أنها كانت تدعى **«دوشيس»**.

كان السيد رجلا حنونا، وفر لنا بيتا مريحا وطعاما جيدا والكثير من الكلمات الطيبة. لقد أحببناه جميعا، أما هو فقد اعتاد أن يتحدث إلينا كما لو كنا أبناءه. وكانت أمى تصهل عندما تراه وتجرى نحو البوابة لملاقاته، **فيربت على ظهرها ويقول:**

«والآن يا عزيزتى بيت، كيف حال بلاكى؟» (كان لونى أسود فأطلق على اسم بلاكى، ثم يعطى أمى



جزرة، ويعطينى قطعة خبز. فتأتى كل الجياد إليه، لكننى كنت واثقا من أنه كان يحبنى أنا وأمى أكثر من الجميع. وفى يوم السوق كانت أمى هى التى تأخذه دائما إلى المدينة فى حنطور صغير.

وكان هناك صبى يدعى ديك يأتى إلى البستان من وقت إلى آخر ليجمع التوت من الأشجار الصغيرة، وعندما يفرغ من التهام مايشاء، كان يتسلى بأن يرمى الجياد بقطع الخشب الصغيرة والحصى، إلا أن ذلك كان يؤلمنا بشدة.

وفى يوم من الأيام كان «ديك» يرمينا بالحصى، ولم يلحظ أن صاحب المزرعة كان قريبا منا فرأى ما يحدث. وعندما رأى ديك يلقى الحصى جرى نحوه وأمسكه من ذراعه ثم شد أذنه حتى صرخ الصبى من شدة الألم والمفاجأة. عندما رأينا السيد، تسابقنا لنرى عن قرب ماذا يحدث. قال «ولد شرير! ياللك من ولد شرير تؤذى الجياد! قد لاتكون هذه هى المرة الأولى التى تفعل فيها ذلك لكنها سوف تكون بكل تأكيد المرة الأخيرة. هاهى نقودك، اذهب ولا أريد أن أراك فى مزرعتى أبدا مرة أخرى».

الآن وقد رحل ديك بلا رجعة، فقد جاء دانيال العجوز لرعايتنا، إنه رجل طيب وعطوف مثل السيد. لقد كنا جيادا محظوظة.



الفصل الثانى

هناك الكثير الذى ينبغى أن أتعلمه

أصبحت حصانا صغيرا جميلا، كان جلدى الأسود القاتم ناعما ورقيقا، وعلى جبينى غرة بيضاء جميلة، ولى قدم واحدة بيضاء أيضا. كنت محل إعجاب الجميع ومع ذلك لم يفكر سيدى أن يبيعنى حتى بلغت الرابعة من عمرى. لقد كان **يقول** كما أن الأولاد الصغار لا يجب أ ن يقوموا بأعمال الرجال، كذلك لا ينبغى للمهور الصغيرة أن تقوم بأعمال الجياد اليافعة.

وعندما بلغت الرابعة جاء «**سكوير جوردون**» ليرانى. فحص فمى، وعينى وسيقانى، ثم شاهدنى وأنا أمشى وأعدو. **وأبدى إعجابه بى وقال**: «سوف يكون على ما يرام بمجرد ترويضه».





كان سيدى هو الذى سوف يتولى ترويضى بنفسه، فقد كان حريصا ألا أخاف أو أتعرض لأى أذى. وقال سيدى أنه سيبدأ فى اليوم التالى.

قد لا يعرف البعض معنى أن يروض الحصان، لذلك سوف أشرح لكم. عندما تروض الخيل فانها تتعلم كيف تعتاد على اللجام والسرج، وكيف تحمل فارسا على ظهورها. كذلك تتعلم كيف تتصرف عندما تجر عربة، وكيف ينبغى لها أن تمشى بالسرعة التى يرغبها الراكب كما تتعلم ألا تصهل أبدا، ولا ترفس أو تعض.

والفرس المهذب هو الذى يطيع سيده دائما حتى عندما يشتد به الجوع والعطش. وطالما ارتدى الفرس عدته، لابد أن يكون هادئا، ولا يثب أو يستلقى ليستريح. فكما ترى، إن عملية الترويض ليست أمرا سهلا بالنسبة للحصان. لقد اعتدت الآن وضع الزمام، وصار على أن أتعلم وضع اللجام والشكيمة. وكالعادة أعطانى سيدى بعض الشوفان. وبعد كثير من الاقناع نجح أن يضع اللجام فى فمى وأن يثبت الشكيمة فى مكانها، لقد كان أمرا فظيعا!

انها تؤلم فمى بشدة، إنك لن تعرف هذا الشعور إلا إذا وضعت شكيمة فى فمك. هى فى سمك الإصبع وتوضع فوق اللسان بين الفكين لتخرج الأطراف من زوايتى الفم. تثبت



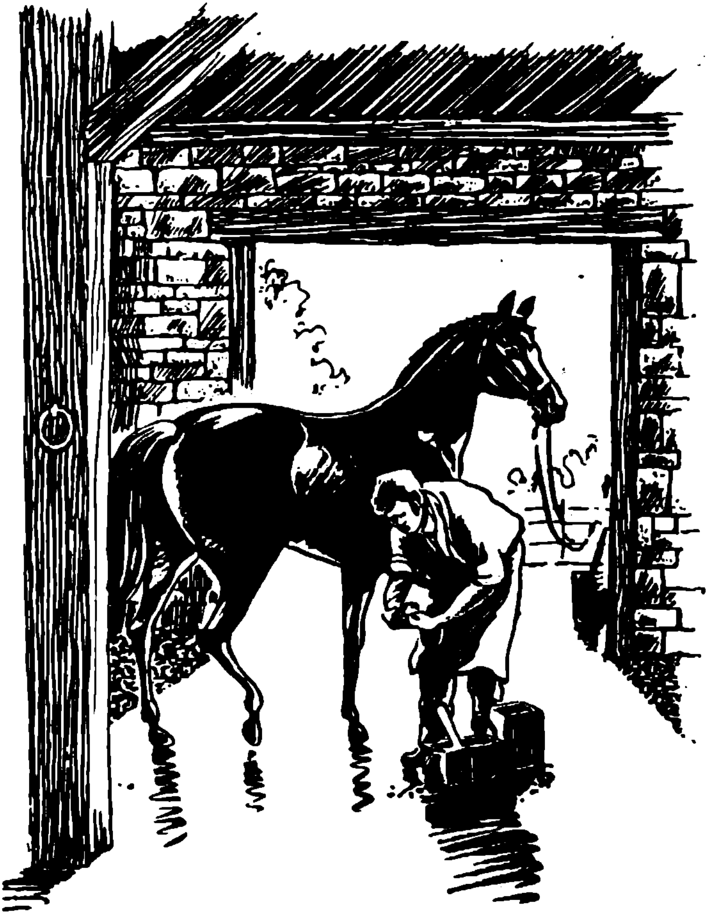
الشكيمة فى مكانها بواسطة أحزمة من الجلد تلف حول الرأس والأذنين وتحت الذقن ويصبح من المستحيل التخلص من ذلك الشئ الفظيع. ومع ذلك فقد كنت أعرف أن كل الجياد الكبيرة تضع شكيمة، كذلك كانت تفعل أمى عندما تخرج. لقد كان سيدى صبوراً وكان يحايلنى بلطف حتى تعلمت أخيرا كيف أرتدى شكيمتى ولجامى.

ثم جاء دور السرج، ولم يكن ذلك سيئا للغاية، فقد أمسك دانيال العجوز رأسى بينما وضع سيدى السرج على ظهرى بلطف شديد، ثم ربت على وتحدث إلى بهدوء ثم اعطانى بعض الشوفان وهو يثبت السرج على ظهرى. كان ذلك يحدث كل يوم وسرعان ما اعتدت عليه.

ثم حان الوقت ليمتطينى سيدى، فاعتلى ظهرى بينما مشيت به فى أرجاء الحقل، كم كان ذلك شعورا غريبا، إلا اننى كنت سعيدا وفخورا بأن أحمل سيدى فوق ظهرى.

كان ارتداء حدوة من الحديد فى قدمى أمرا صعبا جدا فى البداية. وحتى يطمئن سيدى أننى لن أخاف أو أؤذى اصطحبنى إلى محل بلاك سميث. رفع بلاك سميث كل قدم على حدة ليقلم حوافرى. لم يكن ذلك مؤلما فوقفت هادئا حتى انتهى منها جميعا. ثم جاءت الحدوة، وقد تشكل الحديد ليناسب أقدامى.





دق بلاك سميث بعض المسامير في كل حدوة حتى تثبت جيدا فى حوافرى. فى البداية كنت أشعر أن أقدامى ثقيلة ومتيبسة لكنني سرعان ما اعتدت على ارتداء الحدوة. كان على بعد ذلك أن أعتاد على ارتداء «طاقم الحصان» فوضع سيدى طوقا ثقيلا حول رقبتى ولجاما له غمامتان على جانبيه تثبتان بجوار العينين فلا أستطيع أن أنظر إلا إلى الأمام مباشرة، وحزام شديد يسمى «كفلا» يثبت تماما تحت ذيلى وهو ما كرهته تماما. فقد كان ذلك يقتضى أن أثنى ذيلى لأعلى حتى يمر من خلال الحزام فكنت أود أن أقفز وأركل، لكننى لم أكن لأفعل ذلك فقد كنت أحب سيدى حبا جما. ومنحنى سيدى الطيب أجازة لمدة أسبوعين فأرسلنى إلى حقل بالقرب من السكة الحديد. فى أول الأمر كنت أفزع عندما أسمع أو أرى القطار وأجرى بأقصى ما أستطيع من سرعة، لكن لم يمض وقت طويل حتى اعتدت على القطارات.

ومنذ ذلك الوقت رأيت خيولا كثيرة يصيبها الذعر عند رؤية القطار لدرجة أنها توقع الراكب من على ظهورها، لكن بفضل تدريبى المبكر- لم أكن أخاف فى محطات القطارات.

وفى مناسبات عديدة كان سيدى يقودنى أنا وأمى معا فى سرج واحد. لقد كانت أمى حكيمة وخبيرة فتعلمت منها



الكثير. قالت لى أمى انه ينبغى على أن أكون حساسا وأن أحاول أن أسعد سيدى لأنني إن أحسنت التصرف فسوف أعامل معاملة حسنة. وقالت أيضا إنه ليس كل الرجال طيبين وأن الكثير من البشر قد يكونون قساة أغبياء. وعلمتنى أن الخيول لا يمكنها اختيار ساداتها. لقد بث قولها هذا الرعب فى نفسي من أنه ربما يأتى يوم أكون فيه ملكا لشخص مستهتر وشرير.

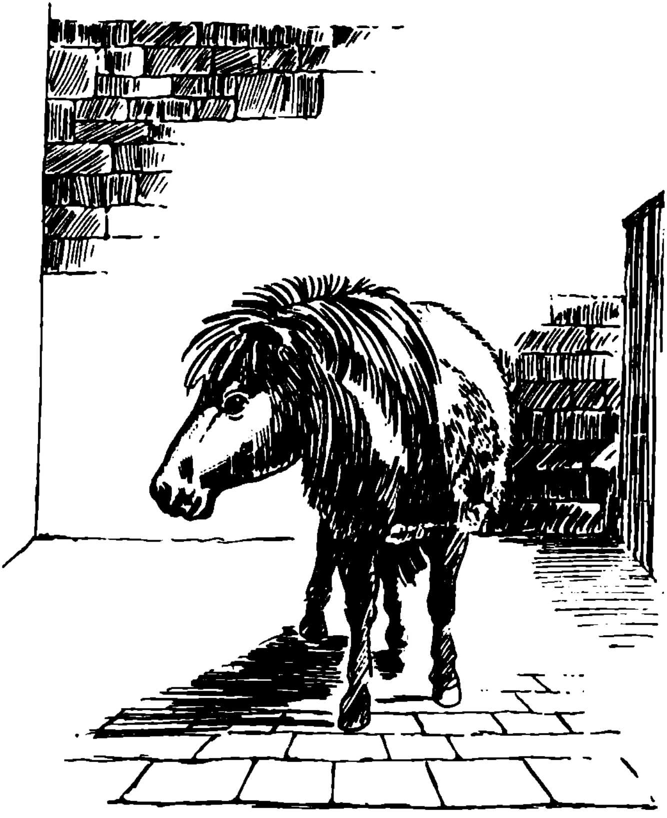


الفصل الثالث

حديقة بيرتويك: بيت جديد

فى وقت مبكر من شهر مايو كان سيدى قد باعنى إلى سكوير جوردون الذى كان يعيش فى بيرتويك بارك. كنت أشعر بحزن عميق لفراق سيدى، **لكنه ربت على ظهرى برقة وقال:** «الوداع يابلاكى، اعمل بجد فى خدمة سيدك الجديد».

كان منزل سكوير جوردون كبيرا جداً. عشت فى اسطبل كبير به أربعة مرابط، ونافذة كبيرة تطل على الفناء. لم أكن مقيدا فى مربطى لذا كنت سعيدا للغاية، فقد كان بامكانى أن أتجول كيف أشاء. كما كان بمقدورى أن أنظر من فوق السور لأرى فناء الاسطبل من مربطى النظيف الجيد التهوية.



تناولت أول وجبة في بيتي الجديد وعندما انتهيت من تناول الطعام نظرت إلى داخل المربط التالي. كان هناك فرس صغير ممتلئ الجسم، رمادي اللون وله عرف وذيل كثيفان، ورأس جميل، وعلى وجهه نظرة جريئة، **فتحدثت اليه قائلا:**

- «ما اسمك؟»

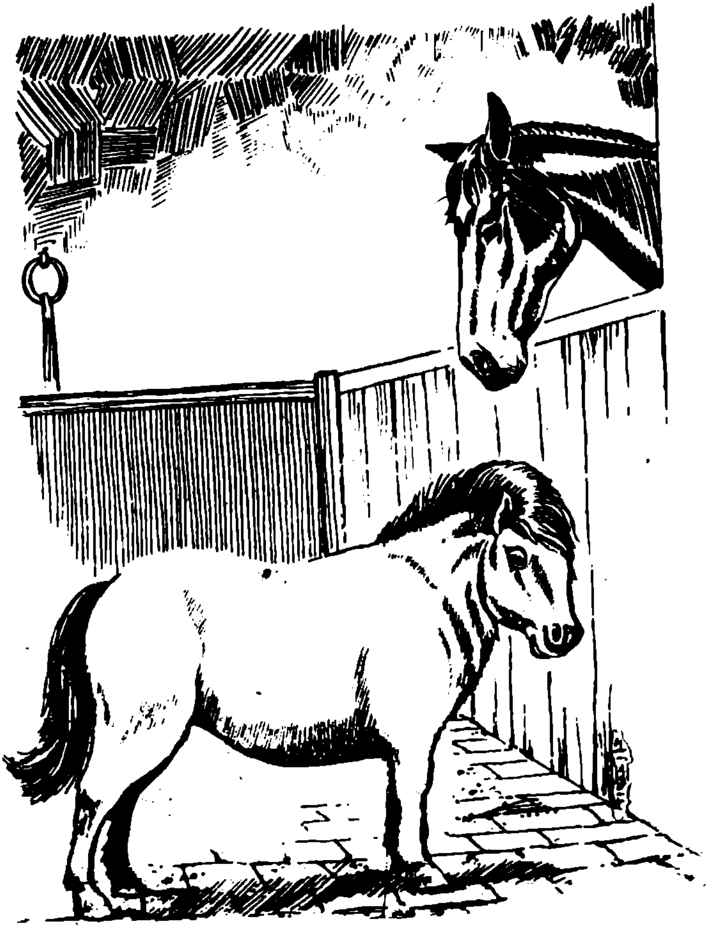
التفت إلى وقال« اسمي ميري ليجز، أنا مهر وسيم يحبني الجميع. أحيانا اصطحب السيدة في عربة صغيرة، لكن في أغلب الأحيان تركب السيدات الصغيرات على ظهري، هل ستمكث هنا أنت أيضا».

أجبت : «نعم»

قال ميري ليجز: «حسن، أرجو أن تكون حصانا حسن الطباع فلا تركل أو تعض»

في هذه اللحظة رأيت رأس مهرة أخرى تطل من مربط آخر، كانت مهرة كبيرة لونها كستنائي، وأذناها تميلان للخلف، وفي عينيها نظرة غاضبة، رمتني بنظرة متوحشة ولم ترد على حين تحدثت اليها.

وعندما خرجت في وقت لاحق من بعد الظهر، أخبرني «**ميري ليجز**» بحكايتها. **قال لي** أن «جينجر» سميت بهذا



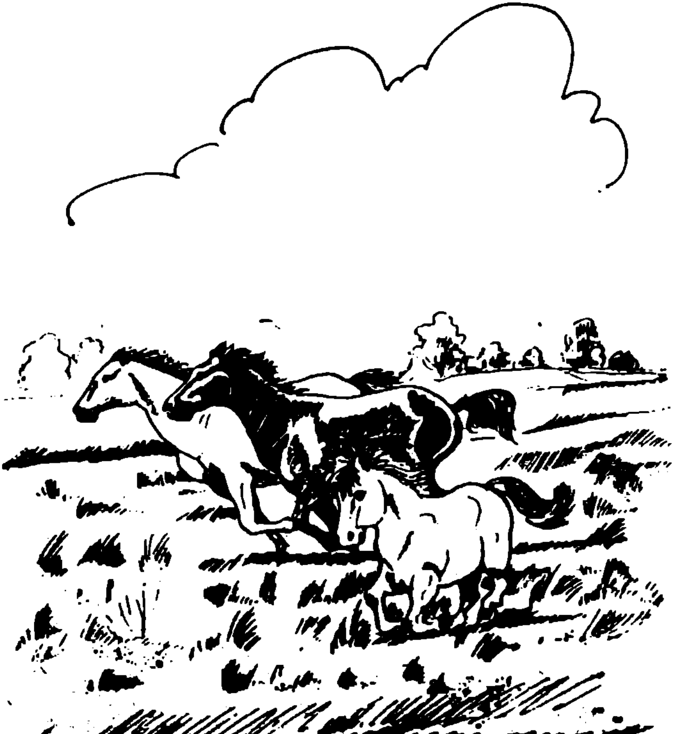
الاسم لأنها تنقض على أى مخلوق. وأوضح ميرى ليجز أن جينجر كانت تلقى معاملة قاسية من مالكيها السابقين مما جعلها سيئة الطباع. ومنذ أن أتت إلى بيرتويك بارك يعاملها السائس جون برقة حتى أن ميرى ليجز يلحظ تغيرا فى سلوكها. لقد كان على يقين من أن طبعها يتغير إلى الأحسن.



الفصل الرابع

حرية يوم الأحد

كان لدى بيت ملائم وكنت سعيدا بذلك، إلا أن الشئ الوحيد الذى افتقدته هو الحرية. لأكثر من ثلاث سنوات كنت أعدو حرا وسط المروج الخضراء. لكن الآن. يوما بعد يوم، أسبوعا تلو أسبوع، شهرا وراء شهر، كان على أن أقف فى الإسطبل ليل نهار إلى أن يحتاجنى السيد. وحتى عندما أخرج فإن على أن أقف ثابتا هادئا والشكيمة فى فمى، وغمامتان حول عينى. وقد تعلمت أنه هكذا ينبغى أ ن تعيش الخيل، إلا أن ذلك كان صعبا للغاية بالنسبة لى. فبالنسبة لحصان صغير ملئ بالحيوية، عاش فى حقل فسيح يعدو بأقصى سرعته مرفوع الرأس والذيل، يصبح من الصعب عليه أن يعتاد الوقوف فى إسطبل يوما بعد يوم.



أحيانا كان من الصعب على أن أقف ثابتا عندما كان جون يأتى ليخرجنى. فقد كنت أشعر أننى مفعم بالحياة، لكن جون كان يبدو متفهما لشعورى حين أظل محبوسا فى الاسطبل طوال اليوم، فكان يسمح لى بالجرى السريع لبضعة أميال بمجرد أن نترك القرية.

كانت الخيول تخرج إلى الحقول يوم الأحد لبضع ساعات من الحرية، وكنا سعداء بهذه المعاملة. فقد كان رائعا أ ن نجرى ونركض فى المروج الخضراء وأن نشعر بملمس الحشائش الرطبة الناعمة تحت أقدامنا.



الفصل الخامس

جينجر تحكى حكايتها

سنحت الفرصة لى أنا وجينجر لتجاذب الحديث عندما وقفنا وحدنا تحت ظلال الأشجار. كانت تريد أن تعرف شيئا عن حياتى وكيف روضت فحكيت لها كل مايمكن أن يقال.

قالت جينجر: «أعتقد فى غالب الأمر كان من الممكن أن أكون أنا أيضا حسنة الطباع إذا ما مررت بنفس تجربتك، لكن فات الأوان بالنسبة لى».

سألتها: «لماذا؟» فبدأت جينجر تحكى حكايتها.

لقد انتزعت من أمها وهى فى سن صغيرة جدا ووضعت فى حقل به العديد من الأمهر الصغيرة. لم يكن هناك أحد يرعاها، ولا سيد حكيم يهتم بها ويعطف عليها.



كان هناك صبى صغير فى الحقل الذى عاشت به جنيجر اعتاد أن يرمى الجياد بالحصى. لم يصب جينجر أى أذى، لكن أحد الخيول الصغيرة أصيب فى وجهه وجرح. وعندما حان الوقت لترويضها أمسك بها بعض الرجال القساة الذين تعاملوا معها بخشونة ووضعوا الشكيمة فى فمها بعنف. وعندما حاولت الهرب أوسعوها جلدا بالسياط حتى تقرح جنباها. ثم أودعوها اسطبلا ضيقا حالك الظلام. فقد كان ابن سيدها مصرا على تحطيم معنوياتها. كان رجلا سكيرا قاسيا حتى أنه كان يجعلها تجرى فى حلبة التدريب حتى تعجز عن الوقوف إذا هى لم تفعل ما يطلبه منها تماما.

لقد أجهدها ذات يوم لدرجة أنها سقطت من شدة الاعياء يتملكها شعور بالغضب الشديد والتعاسة.

جاءها ابن السيد فى صباح اليوم التالى مباشرة وجعلها تجرى وتجرى فى الحلبة ولم يكن الرجل القاسى ليسمح لها أن تستريح، وعندما تتعب كان يلسعها مرارا وتكرارا بسوطه. لم تستطع جينجر المسكينة أن تتحمل أكثر من ذلك فبدأت تشب على مؤخرتها وترفسه.

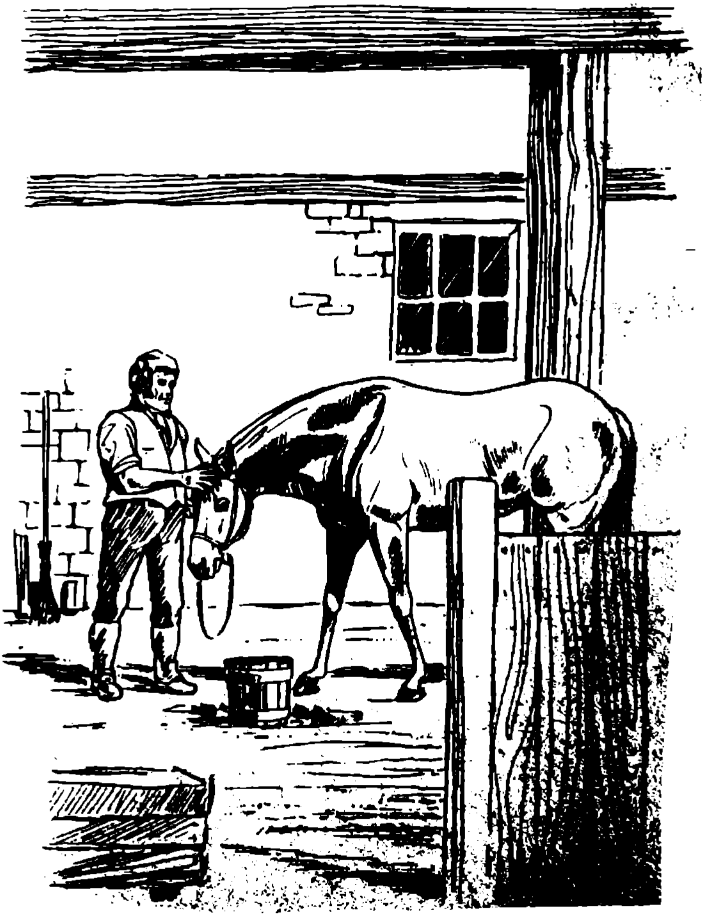
لقد كان صراعا مريرا لكنها نجحت فى النهاية أن تلقى به على الأرض وتركض إلى الحقول. ظلت جينجر هناك حتى استراحت وظنت أنها بقيت فترة طويلة. هام حولها



الذباب فى حرارة الشمس وشعرت بالجوع الشديد والعطش.

أخيرا جاء إلى الحقل رجل عجوز طيب فأحضر لها بعض الشوفان والماء العذب، وتحدث إليها بحنان فجعلته يعود بها إلى الاسطبل.

فاحضر الرجل الطيب الماء الدافئ ونظف جروحها، وأخذ يدلك جسدها بينما كانت تستريح ثم زارها عدة مرات، وعهد بجنيجر إلى مدرب جديد يدعى جوب الذى كان رجلا عاقلا طيب القلب وسرعان ماتعلمت منه جينجر ما كان ينبغى لها أن تتعلمه.

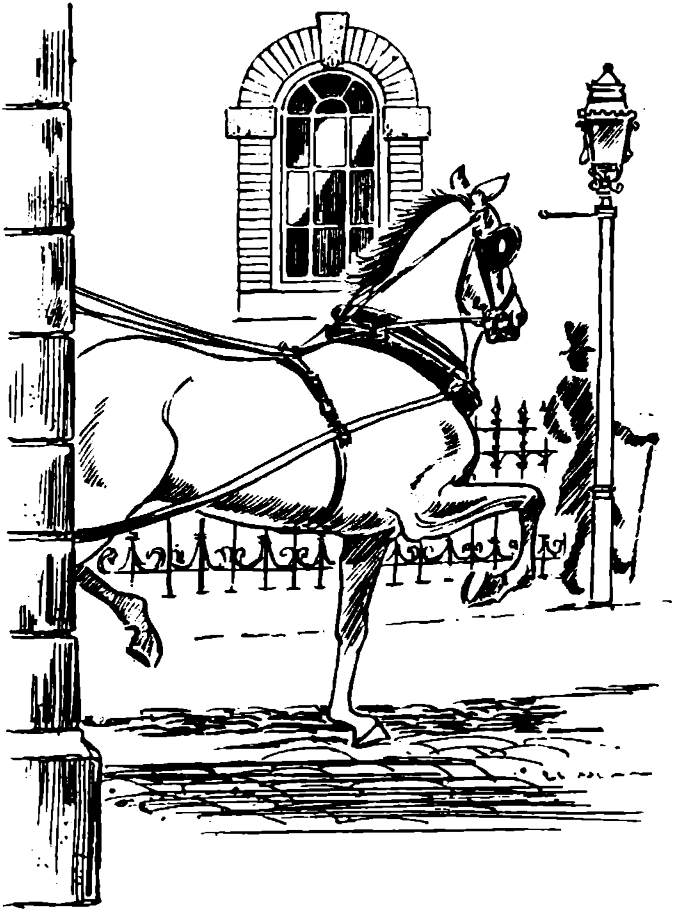


الفصل السادس

مازلت أستمع للمزيد من حكاية جينجر

عندما سنحت الفرصة لننفرد سويا مرة أخرى، حكت لى جينجر عن بيتها الثانى.

بعد ترويضها، اشتراها رجل متألق وانتقلت للعيش فى المدينة. وأحكم سيدها الجديد اللجام بشدة لسبب واحد هو أنه أراد أن يتبع الموضة. ومع ضيق اللجام كان على جينجر المسكينة أن تظل طوال الوقت مرفوعة الرأس ولا تستطيع الحركة. كم كانت الشكيمتان اللتان فى فمها حادتين للغاية حتى انجرح لسانها. وفى بعض الأحيان كان عليها أن تقف ساعات طوال فى انتظار سيدها، فإذا تحركت أو ارخت رأسها قليلا كان السيد يجلدها. كانت هذه المعاملة مثيرة لأعصابها، ففى كل يوم كانت ترتدى طاقمها بالضرب والكلمات القاسية.





لقد كانت جينجر تود أن تجعل أسيادها فخورين بها وكانت لديها رغبة صادقة للعمل الا أنهم لم يعتنوا بها وجعلوها فى معاناة دائمة.

وأصبحت الآلام فى فم جينجر ورقبتها لا تحتمل لدرجة أنها كانت تركل وتلقي بأى شخص يحاول أن يضع عليها طاقمها. فى نهاية الأمر عندما أصبحت غير قادرة على الاحتمال تحللت من طاقمها وهربت. ثم بيعت لملاك مختلفين، لكنها لم تبق فى أى بيت لمدة طويلة لأن الناس كانوا يتخوفون من سوء طبعها. كان صاحب آخر بيت ذهبت إليه رجلا غليظا يلكزها بالمذراة إذا عصيت له أمرا. وفى يوم من الأيام عضته فى ذراعه عندما حاول أن يضربها بالسوط.

بعدها أصبح هذا الرجل يخشى الاقتراب من جينجر، فتعلمت أنه ليست هناك سوى طريقة واحدة فقط أمام الخيول للتعامل مع القساة من بنى الانسان.

ثم قالت لى جينجر انه منذ أن جاءت للعيش فى بيرتويك تغيرت حياتها بدرجة كبيرة. جون وجيمس، سائسا الخيل هنا، يعاملانها بمزيد من العطف. ومن أسبوع لأسبوع كنت ألحظ أن جينجر أصبحت أكثر رقة وابتهاجا وأنها أوشكت أن تتخلى عن نظرتها الغاضبة.





الفصل السابع

ميرى ليجز يلقن الأطفال درسا

كان مستر «**بلومفيلد**» يعيش فى القرية مع أسرته الكبيرة. كان قس القرية. وقد اعتاد أن يزور بيرتويك مع العديد من أطفاله. وكانوا جميعهم يحبون ركوب ميرى ليجز.

ذات يوم، خرج ميرى ليجز مع الأطفال لوقت طويل وعندما أعاده جيمس إلى الاسطبل، **قال** : «حسن، انه من الأفضل ان تسلكوا سلوكا مهذبا وإلا تعرضنا جميعا للمتاعب».

اندهشت عندما سمعت هذا الكلام **وسألته** : «**ماذا فعلتم ياميرى ليجز**؟

أومأ ميرى ليجز برأسه **وقال** «لقد كنت ألقن هؤلاء الأطفال درسا فحسب. انهم لا يكتفون بأى قدر من اللعب، كما أنهم لايدركون أننى فاض بى الكيل، لذلك ألقيت بهم من



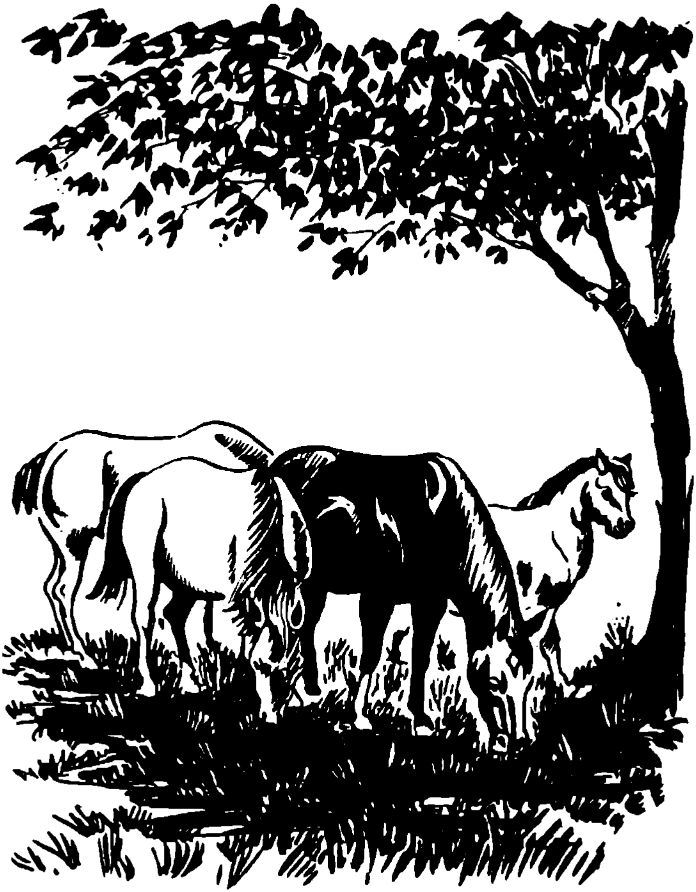
فوق ظهرى. وكان ذلك هو التصرف الوحيد الذى يمكن أن يفهموه».

لقد صدمت حقا حين عرفت أن ميرى ليجز قد أتى بمثل هذا التصرف لكنه قال انه كان شديد الحرص على كل الأطفال. فعندما كانوا خائفين قلقين كان يمشى ببطء وثبات حتى يشعر أنهم اعتادوا الأمر فيسرع خطاه. لكن فى هذا اليوم بالذات بعد أن ركبه الأطفال لأكثر من ساعتين، كانوا مازلوا يرغبون فى المزيد، فصنعوا سياطا من أغصان شجر الجوز وضربوه بشدة. توقف ميرى ليجز عدة مرات ليعرفوا أنه بحاجة للراحة، لكن الأولاد ظنوا انه كالماكينة التى بمقدورها أن تظل تعمل وتعمل بلا توقف. لم يتذكروا ولو للحظة واحدة أن حصان حى له مشاعر وأنه من الممكن أن يشعر بالتعب والغضب.

لذلك عندما ضربه الصبى الذى كان على ظهره فى ساقيه، رفع مير ليجز قدميه الخلفيتين فسقط الصبى. لقد كان ميرى ليجز يحب الأطفال كثيرا لكنه رأى أن هؤلاء الأطفال بحاجة ليلقنوا درسا. لقد كان محل ثقة الجميع، وفى المقابل كان يحاول أن يكون لطيفا بقدر ما يستطيع مع الأطفال. بعد أن أخبرنى بكل شئ التفت إلى قائلا: «أنا لن أركل أبدا أو أكون سئ الطباع حتى لا أباع فى الحال. فقد أجد نفسى فى



قبضة سيد فظ يرهقني بالعمل الشاق، أو رجال قساة يضربوني بالسياط. أو ربما أجد نفسي في مدينة ساحلية حيث لا أحد يهتم بشئ من أمري إلا أ ن يرى قدرتي على العدو السريع. لا، سوف أحرص كل الحرص على ألا أفعل ذلك مرة أخرى».



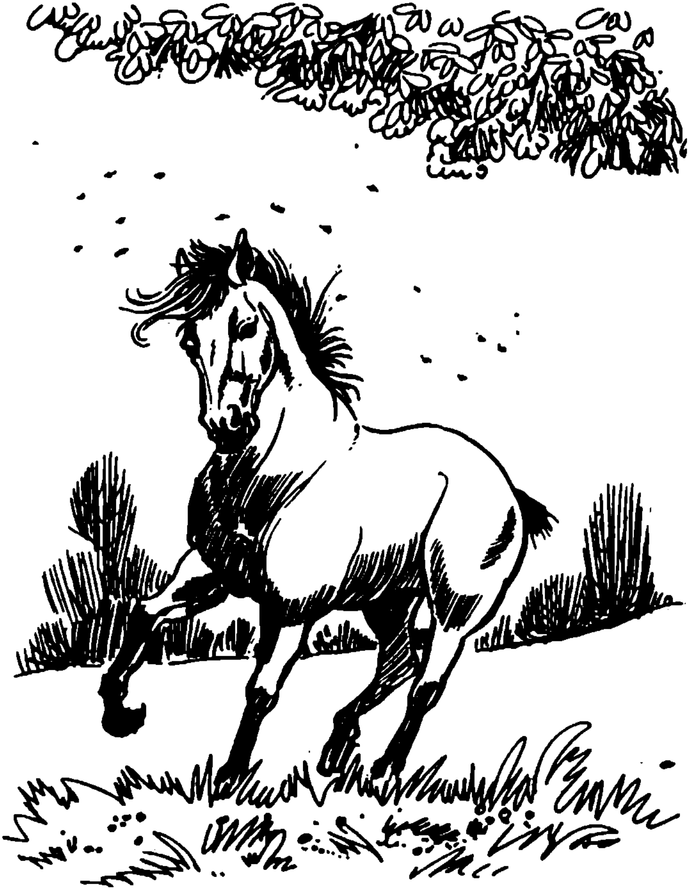
الفصل الثامن

محادثة طويلة مع سير أوليفر الحكيم

ذات يوم كان الجو مشمسا بعد الظهيرة فأطلقنا السيد نرعى فى البستان. وقفت تحت ظلال الأشجار مع حصان عجوز لكنه وسيم يطلق عليه أوليفر. كان ذيله لا يتعدى ست أو سبع بوصات وكنت دائما أتساءل عن سبب قصره الشديد، فقررت أن أسأله كيف فقد ذيله.

فنفر سير أوليفروقال: «بالتأكيد لم تكن حادثة. لقد كان فعلا مخزيا أثيما. كنت مهرا صغيرا عندما أخذونى إلى مكان تؤتى فيه مثل هذه الأفعال المزرية. قيدونى بشدة بحيث لا أستطيع الحركة على الاطلاق ثم قطعوا ذيلى من اللحم والعظم».

قلت بهدوء: «هذا أمر فظيع».



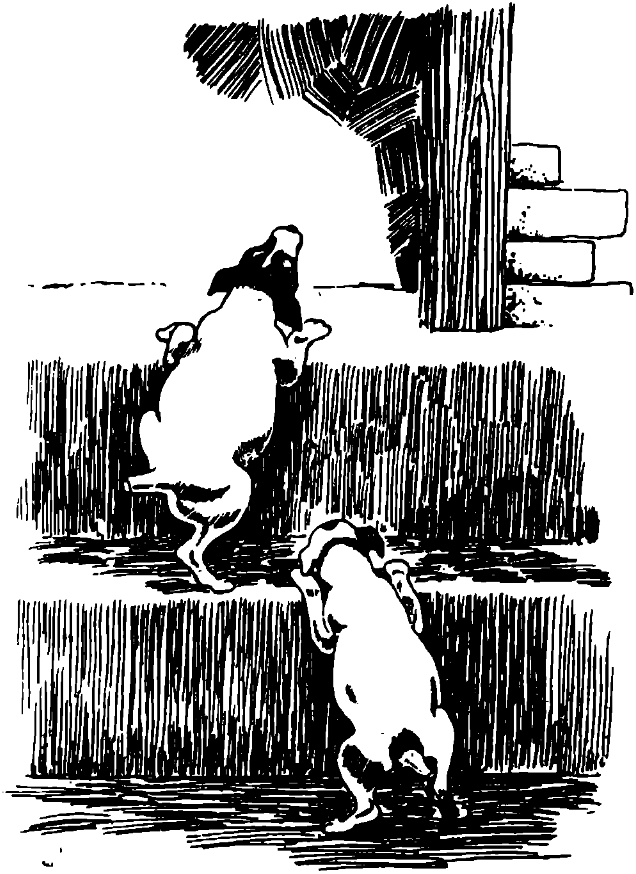
«نعم، كـان أمـرا فظيـعـا، لكن لم يكن الألم وحـده هو مـا جعله فظيعا بل الاهانة بحرماني من ذيلي الجميل. أنا أحتاج ذيلي لأطرد الذباب عني، فأنت لا تتصور كم أتعذب بسبب الهـوام التي تقـر علي جلدي وتلدغني ولا استطيع ابعـادها. استئصال ذيلي خطأ لا يمكن اصلاحـه، لكن حمدا لله أنهم كفوا الآن عن استئصال ذيول الخيل».

سألت جينجر: «لم إذن كانوا يفعلون ذلك؟»

رد الحصان العجوز وهو يضرب الأرض بقدمه: «مجـرد موضـة! فالموضة تعني أن شخصا مادارت برأسه فكرة أن ذيول الخـيل يجب أن تكون قـصـيـرة لتكون أكـثـر جمـالا. يقـينا أننا كنا سنولد بذيول قـصـيـرة اذا أراد الله لنا ذلك».

قالت جينجر: «لابد أنها الموضة التي تجعلهم يرفعون رؤوسنا طو ال الوقت باستخدام تلك اللجامات الحادة الفظيعة التي أضعها في فمي في المدينة».

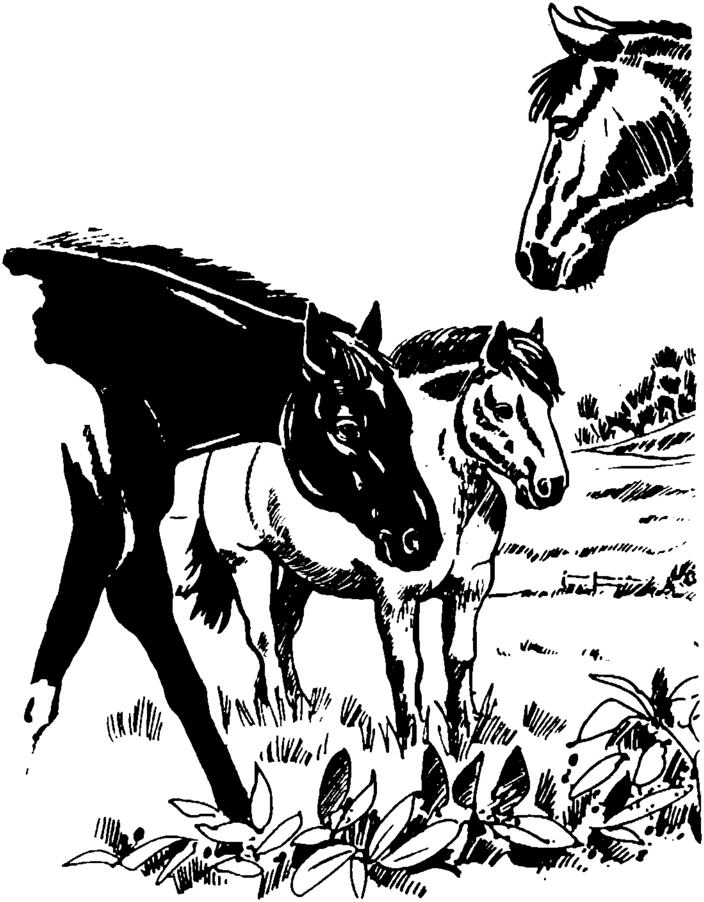
رد سير أوليفر: «بالتأكيد. لابد أن فكرة الموضة هي من أسوأ الأمـور التي انشغل بهـا الآدميـون. أنظر مـثلا مـا يحدث للكلاب. انهم يجذبون آذانهم للخلف ويجتزون ذيولهم لأنهم يعـتـقـدون أ ن ذلك يجـعل الكلاب أجـمل. كـانت لي



صديقة من كلاب التريير لونها بنى وتدعى سكاى وكانت تنام معى فى نفس المربط. كان لديها خمسة كلاب صغار تحبها حبا جما. ذات يوم، خطفها أحد الأشخاص، لكن سكاى عثرت عليها فى تلك الليلة وعادت بها وقد حملتها فى فمها الواحد تلو الآخر. لم تكن هى الكلاب السعيدة التى عرفتها. كانت تبكى والدماء على أجسادها. قطع الرجل جزءا من ذيولها وكذلك الجزء الرخو من أذانها.

لن أنسى أبدا مدى الذعر والغم الذى شعرت به المسكينة سكاى وكيف لعقت جراح صغارها بعناية. بعد مضى بعض الوقت، شفيت جراحها إلا أن الكلاب الصغيرة فقدت إلى الأبد الجزء الرخو الذى يحمى الجزء الحساس لآذانها. **لماذا لا يقطع الناس أنوف أطفالهم أو آذانهم ليكونوا أجمل ؟** أنه سيؤدى تماما إلى نفس الاحساس الذى يسببونه لنا».

التفكير فى تلك الأمور جعل الحصان الطيب العجوز يشعر بالغضب، وعندما حكى لى سير أوليفر عنها غضبت أنا أيضا. وأحسست بكراهية لهؤلاء البشر لم أشعر بها أبدا من قبل. لم أستطع أن أفهم لماذا قاموا بمثل تلك الأفعال القاسية. كانت جيجنز تستمع إلى حديثنا، ثم صرحت ورأسها مرفوع



وأنفها تضطرم غيظا أن فى رأيها هؤلاء الناس شياطين حمقى.

وفى تلك اللحظة ظهر ميرى ليجز الذى كان يحك جسمه فى فروع شجرة تفاح عتيقة.

قال ميرى ليجز: «ان كلمة أحمق كلمة سيئة جدا»

ردت جينجر «لابد أن نستخدم الكلمات السيئة لوصف الأشياء السيئة» وحكت له كل ماقال سير أوليفر. ثم تحدث مارى ليجز: «أعرف أن كل ذلك حقيقى فقد رأيت ذلك يحدث للعديد من الكلاب، لكننا لا يجب أن نتحدث عنه مرة أخرى، فالسيد وجيمس وجون طيبون معنا دائما. نحن نعرف إذن أن فى الدنيا أيضا أناسا طيبين. لابد أن نكون ممتنين أن لنا بيتا مريحا نلقى فيه معاملة حسنة».

كنا نعلم جميعا أ ن ماقاله ميرى ليجز صواب وبدأنا نهدأ.

حتى سير أوليفر وافق على أن له سادة طيبين وأن حياته هنا سعيدة. هكذا أنهينا حديثنا فى البستان وبدأنا نأكل ثمار التفاح الحلوة التى سقطت من الأشجار.


BLACK BEAUTY

الفصل التاسع

حصار العاصفة

ذات يوم ، قرر سيدى أن يجد لى إسما ملائما، ربت على رأسى ونظر إلى مليا لفترة طويلة، **ثم نادى جيمس وجون وقال**: «مارأيكما فى إسم (**بلاك بيوتى**)»

قال جون: «بلاك بيوتى بالتأكيد يلائمه تماما. نعم، انه اسم حسن جدا له».

لقد كان اسما رائعا فشعرت بالفخر والنضج.

فور حصولى على هذا الاسم، كان على أن آخذ سيدى فى رحلة طويلة بعربة الكلاب وذهب معه جون. كنت أحب أن أجر عربة الكلاب، فقد كانت خفيفة كما أ ن عجلاتها الكبيرة تدور بسهولة. كانت الأمطار تهطل بغزارة والآن هبت رياح



قوية تعصف بأوراق الأشجار فى عرض الطريق. واصلنا طريقنا بسرعة حتى بلغنا الجسر الخشبى.

عند الجسر أخبر الحارس سيدى بأن النهر يرتفع بسرعة وأنه يخشى أن تكون ليلة عاصفة. كانت العديد من الحقول غارقة بالمياه بالفعل، وعندما فاض الجزء المنخفض من الطريق كان ارتفاع الماء يصل تقريبا إلى ركبتى. قاد سيدى العربة ببطء وبحذر شديد. عندما وصلنا المدينة حظيت ببعض الراحة، فقد استغرق سيدى وقتا طويلا حتى أنجز عمله وبدأنا رحلة العودة فى وقت متأخر من بعد الظهر.

عندئذ كانت الرياح تعصف بشدة وسمعت سيدى يقول لجون إنه لم يشهد عاصفة مفزعة كهذه فى حياته أبدا.

بينما نحن فى طريق العودة، كانت الرياح العنيفة تعوى خلال الأشجار وتقصف أوراق الشجر اللينة.

قال سيدى: «أتمنى لو أننا نخرج من هذه الغابات سالمين»

رد جون: «نعم ياسيدى بالفعل، سيكون خطرا كبيرا إذا سقط علينا فرع من فروع الأشجار» وبمجرد أن قال جون هذا الكلام كان هناك ضجيج شئ يتصدع، فقد انخلعت شجرة بلوط ضخمة من جذورها وسقطت على الأرض أمامنا تماما.

لقد كنت مذعورا لكننى لم أدر للخلف أو أحاول الفرار، بل وقفت هناك ارتعد وحسب.

قال سيدى : «لقد كان الخطر أقرب مما تصورنا، ماذا نحن فاعلون الآن ؟»

أجاب جون : «أما وأننا لا نستطيع أن نمر بالعربة فوق الشجرة أو حولها، فلابد أن نعود إلى الجسر الخشبى» .

وعندما بدأنا فى العودة إلى الجسر كان الظلام قد حل، مع ذلك كان بمقدورنا أن نرى أن الماء قد غطى منتصف الجسر.

لم يتوقف سيدى لأنه كان يعلم أن هذا قد يحدث عندما يفيض النهر. كنا نسير مسرعين بعض الشئ لكن فى اللحظة التى وطئت قدمى فيها الجسر أدركت أن هناك خطأ ما. فتوقفت ولم أ تقدم خطوة.

قال سيدى : «هيا يا بيوتى» وحثنى بالسوط بلطف إلا أننى لم أتحرك. فضربنى بشدة لكننى رفضت أ ن أتحرك.

قال جون : «لابد أن هناك شيئا ما يا سيدى» ونزل من العربة محاولا أن يحثنى على عبور الجسر.

قال جون : «هيا يابنى، ماذا هنالك؟»





لم أستطع أن أخبره لكننى كنت متيقنا أن الجسر ليس آمنا.

فى تلك اللحظة ظهر حارس بوابة الجسر يلوح نحونا بشعلة وهو يصيح: «توقفوا! توقفوا! لا تتحركوا ولا خطوة أخرى!»

صاح سيدى: «ماذا هناك؟»

أجاب الحارس: «انه الجسر. لقد انكسر من المنتصف وانجرف جزء منه. اذا تقدمتم أكثر من ذلك سوف تسقطون فى النهر».

قال سيدى: «الحمد لله ! الحمد لله!»

قال جون وهو يمسك بزمامى برفق ويديرنى للخلف بحرص: «أنك ذكى يا بيوتى»

كانت الرياح قد هدأت والشمس غربت والظلام يتزايد، وساد الغابة سكون غريب. كانت العجلات بالكاد تصدر صوتا وأنا أخطو بهدوء على الطريق المترب الناعم. كان جون وسيدى يتحدثان بصوت خافت. وكان يعلمان أننى أنقذت حياتيهما عندما رفضت أن أعبر الجسر. **وسمعت سيدى يقول** ان الناس يتمتعون بقوة العقل، بينما تتمتع الحيوانات بقوى خاصة هى التى عادة ما تنقذ حياة الناس الذين







يحبونهم. كان جون يعرف أن هذا حق، وأخذ هو والسيد يرويان حكايات عن خيول وكلاب أنقذوا أصحابهم. لقد أدرك كلاهما أن الناس لا يقدرون حيواناتهم حق قدرها.

وهكذا مرت الليلة ووصلنا أخيرا إلى مدخل بيرتويك بارك. كان البستانى واقفا بالباب فى انتظارنا.

قال البستانى أن السيدة كانت قلقة للغاية علينا حتى أنها ظلت مستيقظة طوال الليل. ثم رأينا ضوءاً عندما انفتح باب الردهة وجاءت السيدة تجرى لملاقتنا، **وصاحت**:

- «عزيزى، لقد كنت فى غاية القلق، هل أنت بخير؟ هل وقع لك حادث؟»

قال السيد: «لا ياعزيزتى. نحن بخير بفضل بلاك بيوتى. فلولاه لكنا جميعا ضعنا فى النهر».

ولم أسمع المزيد، حيث دخلا كلاهما إلى المنزل بينما ذهبت أنا إلى الاسطبل مع جون الذى أعد لى فراشا وثيرا من القش وقدم لى وجبة شهية. فكنت فى غاية الامتنان. لقد كانت ليلة طويلة جدا وكنت أشعر بإرهاق شديد.



الفصل العاشر

السائس الممتاز جيمس هوارد

صباح يوم من أيام ديسمبر خرجت لممارسة تدريبى اليومى مع جون. بمجرد عودتنا إلى الاسطبل جاء السيد. كان فى يده خطاب مفتوح وقد بدا عليه الانشغال الشديد. **قال السيد:** «صباح الخير يا جون، هل لديك أى شكوى من جيمس؟».

أجاب جون: «لا يا سيدى، على الاطلاق. انه يعمل بجد وهو صبور وطيب مع الخيل دائما» وبينما كان جون يتكلم كان السيد ينصت.

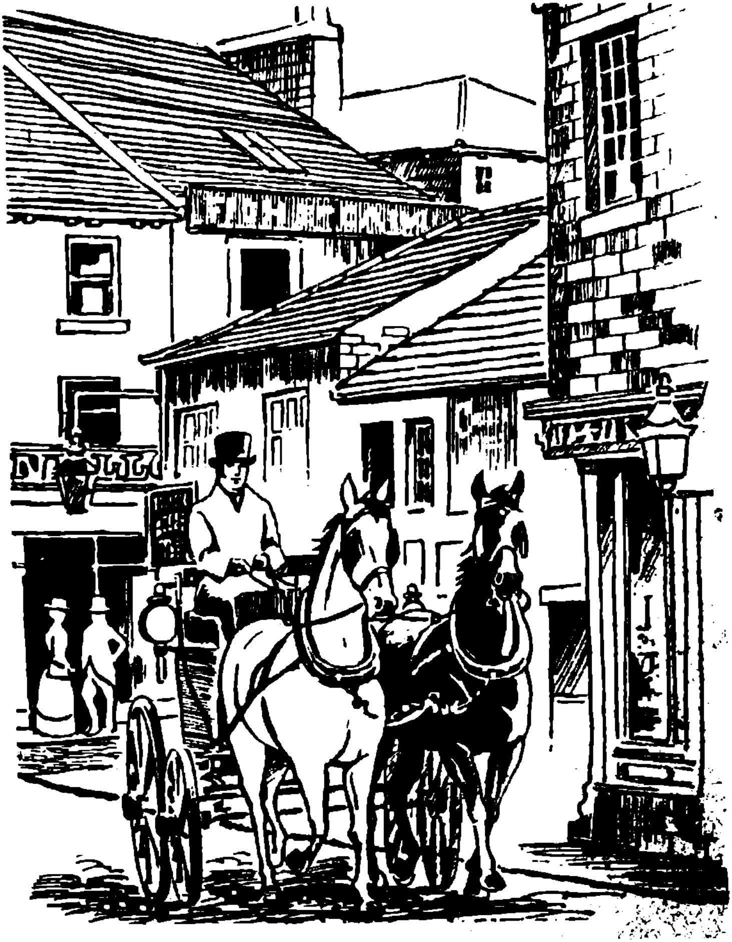
كان جيمس واقفا عند البوابة. عندما انتهى جون من كلامه نظر السيد نحو جيمس مبتسما **وقال:** «جيمس ولدى، لقد أردت أن أعرف كل شئ عنك لأن لدى بعض



المعلومات التى قد تهمك. هذا خطاب من زوج أختى، انه يبحث عن سائس شاب، أمين يعتمد عليه ليقوم برعاية ممتازة لخيوله. قد تكون هذه الوظيفة بداية جيدة جدا لك، فزوج أختى رجل طيب وعادل ،أعرف أن جون سوف يفتقد مساعدتك لكننا لن نقف فى طريقك ان أردت أن تغتنم هذه الفرصة. فكر بالأمر ثم أخبرنى ماذا تريد أن تفعل».

بعد ذلك بأيام قليلة قرر جيمس أن يتركنا وينتقل إلى الوظيفة الجديدة، ولما كان جيمس بحاجة لمزيد من التدريب على القيادة فقد كانت العربة تخرج أكثر مما عهدت من قبل. كنت أنا وجينجر نجر العربة بينما يمارس جيمس مهاراته فى القيادة.

كان يقود بنا فى المدينة. لقد أحببت روائح القهوة والطباق والخبز التى تهب من المحال المفتوحة، وكانت مشاهدة الخيول الأخرى التى تجر العربات ممتعة. أصبح جيمس سائقا ممتازا، بينما أنا وجينجر نقضى وقتا ممتعا.



الفصل الحادى عشر

حريق الاسطبل

كان لسيدى وسيدتى بعض الأصدقاء الذين يعيشون على بعد حوالى خمسة وأربعين ميلا من بيرتويك. بعد الظهيرة فى يوم مشرق قررا زيارتهم وكان جيمس يقود العربة. قطعنا اثنين وثلاثين ميلا فى اليوم الأول. كان هناك العديد من التلال الطويلة على مدى الرحلة لكن جيمس كان سائقا حذرا ومتفهما، فكان حريصا ألا يرهقنا بشدة. كان يتذكر أن يستخدم الفرامل عندما نكون بمنحدر ويبطل استخدامها عندما لا تكون هناك حاجة لها.توقفنا للراحة مرة أو مرتين بالطريق ووصلنا الى المدينة التى سوف نقضى فيها الليل عند غروب الشمس تماما.

وعندما وصلنا الى الفندق الصغير فى منتصف السوق مررنا تحت قنطرة وتوقفنا فى فناء طويل يوجد فى نهايته



اسطبلات للخيل وساحات للعربات حيث جاء رجلان لملاقاتنا. قام الرجلان باقتيادنا أنا وجينجر الى الاسطبل بينما وقف جيمس يراقبهما ليتأكد من أنهما ينظفاننا ويعملان على راحتنا.

وفى وقت متأخر من ذلك المساء بينما كنت أستريح فى مربطى سمعتهم يحضرون حصانا الى الاسطبل. كان هناك شاب يدخن الغليون. كان الشاب يتحدث مع عمال الاسطبل وهم ينظفون الحصان، فطلب منه أحدهم أن يطفئ غليونه ويعطى الحصان بعض التبن. فسمعته وهو يمر بجوار مربطى ويلقى بالتبن على الأرض. ثم أغلقوا باب الاسطبل ومضوا.

بعد ذلك استيقظت فى وقت متأخر وقد اعترانى شعور بالقلق. لم أعرف فى أى وقت نحن حينئذ ولا كم من الوقت أمضيته نائما. كان الهواء ثقيلا وهناك صعوبة فى التنفس. كانت جينجر تسعل بينما سمعت حصانا آخر يحوم فى مربطه. لم أتمكن من رؤية أى شئ على الاطلاق فقد كان الظلام حالكا، لكن كان بأستطاعتى أن أشم رائحة الدخان فى الاسطبل.

ثم سمعت ضجيج طقطقة وبصاق تأتى من باب خفى كان مفتوحا. بدأ كل جسمى يرتعد. فقد كنت خائفا جدا. عندئذ كانت كل الخيول الأخرى قد استيقظت وكان بمقدورى





أن أسمعها تجذب ألجمتها وتمخر وترفس وتدب على الأرض.

ثم سمعت صوتا مختلفا. كان هناك شخص ما قادما! فقد إندفع رجل الى داخل الاسطبل وفى يدة فانوس. انه السائس الذى أدخل الحصان الأخير. كان يجرى من مربط إلى آخر يحل الخيول ويحاول اقتيادها للخارج. لكنه كان فى عجلة شديدة كما كان هو نفسه خائفا جدا لدرجة أننى أصبحت أكثر ذعرا من أى وقت مضى.

لم يتحرك الحصان الأول وهو يحاول اخراجة، ولا الثانى ولا الثالث. ثم جاء إلى ليحاول جذبى للخارج لكننى كنت مذعورا جدا فلم أخرج معه، لقد حاول مع كل الخيل إلا أن أحدها لم يتحرك، فاستسلم السائس وتركنا.

ربما كنا أغبياء لأننا لم نترك الاسطبل، لكننا لم نعرف ما الذى كان يحدث كما أنه لم يكن هناك أحد يمكننا الاعتماد عليه. لقد أصبح التنفس الآن أسهل كثيرا بعد أن دخل الهواء النقى من الباب المفتوح. كانت أصوات الطقطقة والسعال تتعالى وعلى جدار الاسطبل لمع ضوء أحمر.

صاح شخص ما: حريق! حريق! ثم سمعت صوتا مطمئنا، كان صوت جيمس يقول: استيقظ يا بيوتى، تعال معى، لقد حان وقت رحيلنا





جاء جيمس إلى أولا لأننى كنت بالقرب من الباب. فربت على رأسى وقال دعنا نضع سرجك يا بيوتى وسوف نخرج من هنا فورا

تبعته إلى خارج الاسطبل المشتعل، بعيدا عن الخطر فى الفناء الآمن. طلب جيمس من شخص ما أن يبقى معى بينما عاد هو من أجل جينجر. وأطلقت أنا صهيلا عاليا بينما جرى هو عائدا الى الاسطبل. وقالت لى جينجر بعد ذلك أننى حسنا فعلت عندما صهلت بصوت عال لأنها سمعتنى فى الفناء فشجعها ذلك على ترك الاسطبل.

عمت الفوضى والضجيج الفناء، وكان الناس يتصايحون ويجرون فى كل اتجاه. البعض يقتاد الخيول خارج الاسطبلات الأخرى. بينما كان هناك دخان كثيف ينساب من الاسطبل الذى ذهب اليه جيمس. كنت أرقبه عن قرب عندما سمعت سيدى ينادى:

- جيمس! جيمس! جيمس هوارد! أين أنت؟ لكن لم يكن هناك رد. لم يكن هناك صوت مسموع سوى صوت الأشياء التى تتساقط فى النيران. ثم رأيته! فأطلقت حمحمة مدوية لفرط سعادتى عندما رأيت جيمس خارجا بجينجر خلال الدخان. كانت تسعل بشدة بينما لم يستطع جيمس الكلام على الاطلاق.



قال سيدى وهو يربت على كتف جيمس: إنك شجاع، شجاع يا ولدى! ثم سأله إذا كان على ما يرام لكن جيمس أومأ برأسه فقط، فقد كان مايزال غير قادر على الكلام.

فى تلك الليلة ذاتها تركنا البلدة. كنا جميعا نشعر بالحزن. فقد أخبرنا جيمس أن سقف الاسطبل انهار وأن الخيول التى لم تخرج فى التوقيت المناسب قد دفنت تحت الانقاض.

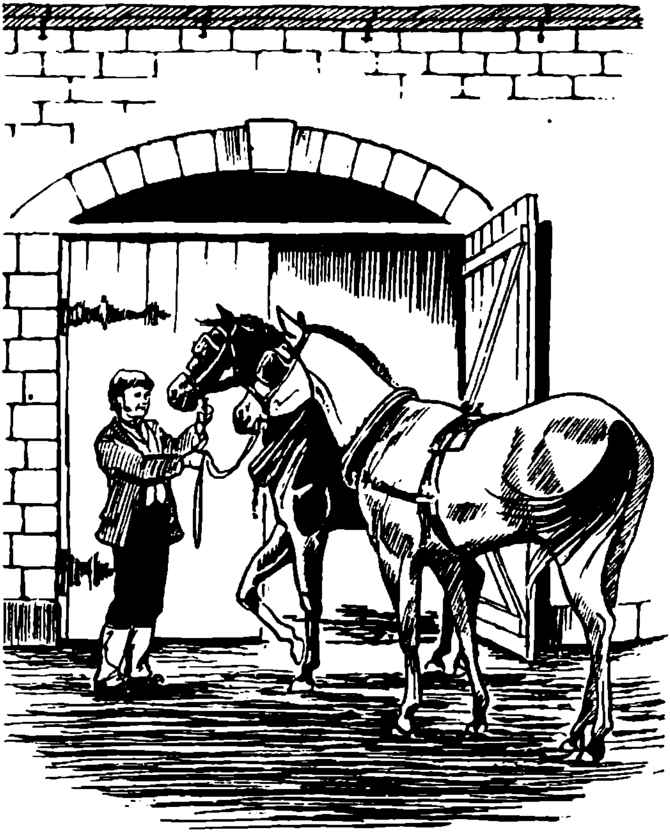
الفصل الثانى عشر

وداع حزين لجيمس

كـان الجـزء الثـانى من رحلتنا سـهـلا جـدا بعـد الوقت العصيب الذى أمضيناه فـى الحريق، ووصلنا الى البلدة التى نقصدها قبل أن يحل المساء. أدخلنا سائس طيب الى اسطبل دافئ ونظيف وعمل على راحـتنا. عندمـا سمع عن الحـريق تحدث الى جيمس وقال:

ـ أيها الشاب، من الواضح جدا أن خيولك تعرف من تثق به وتعتمد عليه. عندما يكون هناك حريق أو فيضان، فانه من أصعب الأمور فى العالم أن تخرج خيولا من الاسطبل

بعد ثلاثة أيام فى هذا المكان، حان وقت العودة. لم تكن هناك مشاكل فى رحلة العودة. سعد جون بعودتنا جميعا



آمنين سالمين، كما كنا جميعا سعداء بعودتنا الى بيتنا الاسطبل.

وفى تلك الليلة كان جون وجيمس يتحدثان عن صبى اسمه جو جرين. سمعناهما يقولان انه عندما يحين وقت رحيل جيمس من بيرتويك بارك، سوف يحل جو جرين محله. كان عمره أربعة عشر عاما فقط، لكن جون قال انه ولد ذكى ولديه استعداد ليتعلم.

رأيناه نحن لأول مرة فى الصباح التالى مباشرة. لقد جاء الى الاسطبل ليتعلم قدر ما يستطيع قبل أن يحين وقت رحيل جيمس. لقد تعلم كيف يرفع التبن والقش وينظف الاسطبل، وكان على جيمس أن يدرب جو كيف يسوس الخيل من خلال ميرى ليجز لأنه كان صغيرا لا يستطيع الوصول لى أنا وجينجر. لم يكن مارى ليجز سعيدا بهذا وكان يقول عنه «انه طفل لا يفقه شيئا». لكن بعد إسبوعين، كان عليه أن يعترف هو أيضا بأن جو جرين يتعلم بسرعة وأنه سوف يبلى بلاء حسنا.

وفى يوم رحيل جيمس، بدا مبتلسا للغاية إلا أنه لم يحاول إظهار شعوره. قال لجون انه سوف يفتقد كثيرا الخيول التى





رباها وأحبها وكذلك أسرته وأصدقاءه. وحاول جون أن يخفف عنه فقال له إن أسرته ستكون فخورة به فى وظيفته الجديدة وأنه سرعان ما يلتقى بأصدقاء جدد.

شعرنا جميعا بالحزن لرحيل جيمس. كان مارى ليجز مهموما لدرجة أنه رفض الطعام لأيام عديدة، فكان جون يأخذه كل يوم الى الحقول ليركض حتى بدأ يشعر بالسعادة مرة أخرى. لقد كان جيمس صديقنا الحميم الذى يعاملنا دائما بعطف كبير، فكان من الصعب علينا أن نصدق أننا لن نراه ثانية أبدا.

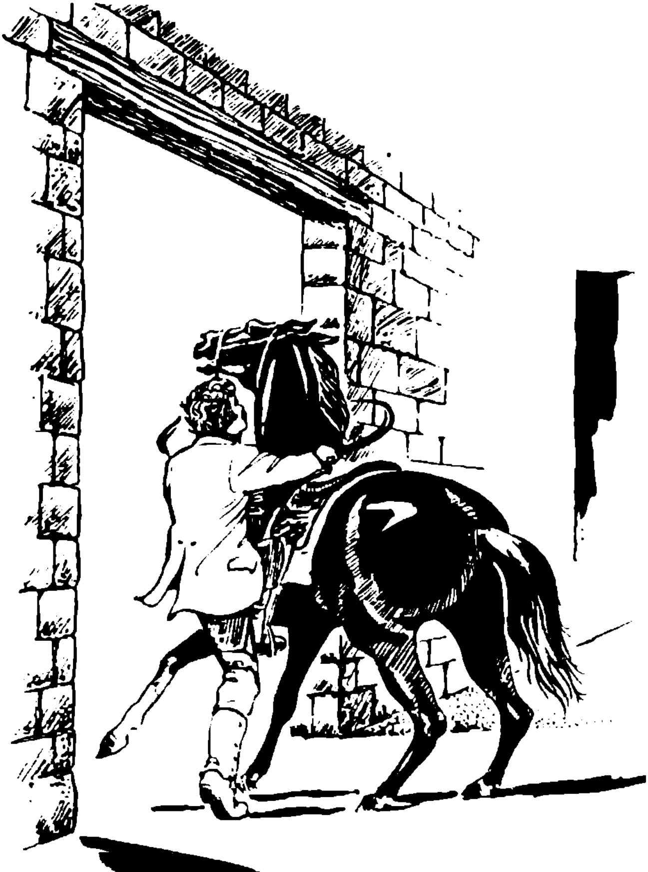
الفصل الثالث عشر

سباق ضد الزمن

ذات ليلة بعد رحيل جيمس بفترة غير طويلة، وفى وقت متأخر، كنت قد نمت سريعا فى فراشى القش عندما استيقظت فزعا على صوت جرس. كان الصوت عاليا لدرجة أننى استيقظت تماما. سمعت جون يجرى نحو الردهة. بعد دقيقتين أو ثلاثة عاد وفتح باب الاسطبل فى عجلة وقال:

- هيا يا بيوتى! الآن ينبغى عليك أن تعدو بأقصى ما تستطيع من سرعة.

وقبل أن يمنحنى فرصة للتفكير كان جون قد وضع سرجى ولجامى وقادنى الى الردهة. رأيت الخادم يقف بجوار الباب وفى يده مصباح وقال:





ـالسيدة مريضة جدا، وحياتها فى خطر. اركض بأقصى سـرعـة وسلم الرسـالة الى دكـتـور وايت. اعـمل على منح الحصان بعض الراحة فى الفندق الصغير ثم عد بسرعة قدر ما تستطيع.

وعندما وصلنا الى الطريق **قال جون بهدوء**:

ـ ابذل أقصى ما تستطيع من جهد يا بلاك بيوتى .فحياة السيدة متوقفة عليك.

عندما سمعت تلك الكلمات عرفت ما ينبغى على القيام به. فركضت على الطريق بأقصى ما استطعت من سرعة. كنت قد عدوت لمسافة ميلين عندما وصلنا الى الجسر، فربت جون على عنقى وجذب اللجام برقة ليبطئ من سرعتى قليلا وقال:

ـ أحسنت يا بيوتى، الآن، على رسلك.

لكنى لم أستطع الابطاء، فقد كنت متـحـمسـا وركـضت بنفس السرعة التى كنت أركض بها من قبل.

وصلنا منزل دكتور وايت فى الثالثة صباحا. طرق جون الباب ودق الجرس حتى جاء الطبيب أخيرا الى النافذة ليرى ماذا يريد. أخبر جون دكتور وايت أن السيدة فى أشد الحاجة أليه لأنها مريضة جدا. وانتظرناه بالباب حتى نزل.



جاء دكتور وايت بعد عدة دقائق وأعطاه جون الرسالة، ثم سأل دكتور وايت اذا كان من الممكن أن يمتطينى الى بيرتويك بارك لأن حصانه مريض. كان جون يعلم أننى منفعل جدا ومتعب للغاية، لكنه كان يعرف كم هو مهم للطبيب أن يكون الى جانب السيدة.

لم تكن رحلة العودة الى البيت سهلةبالنسبة لى. فقد كان دكتور وايت رجلا عجوزا ولا يجيد ركوب الخيل. لكننى بذلت أقصى ما فى وسعى وسرعان ما وصلنا الى بيرتويك بارك. كان «جو» فى إنتظارنا عند البوابة. دخل الطبيب الى المنزل مع سيدى بينما دخلت أن االاسطبل مع جو. كنت ممتنا بالعودة للبيت فقد كنت ألهث وكانت سيقانى ترتجف.

كان جسدى كله ساخنا جدا ومبتلا من العرق. أحضر جو قطعة قماش ومسح صدرى وسيقانى المتعبة، لكنه لم يضع بطانيتى الدافئة على ظهرى. لقد ظن أننى كنت ساخنا جدا ولا أحتاج الى بطانية. وأحضر لى بعض الذرة والتبن وقليل من الماء البارد، ثم أغلق باب الاسطبل وتركنى طوال الليل معتقدا إنه فعل كل ما هو صواب من أجل راحتى. لم يمض وقت طويل حتى بدات أشعر بالبرد الشديد وبدأت أرتجف وأرتعد. آلمتنى سيقانى وآلمنى صدرى وشعرت بالوجع يسرى فى جسدى كله. كم كنت أتوق الى بطانيتى وكم تمنيت أن



يأتي جون، لكنني كنت أعلم أنه مازال يمشي عائدا من منزل الطبيب، لذا حاولت النوم وأنا راقد على القش.

مضى وقت طويل حتى وصل جون إلى الاسطبل. كنت أشعر بألم شديد فلم أصدر سوى صوت أنين منخفض.سرعان ما كان جون إلى جوارى، وعلى الرغم من إننى لم أستطع أن أخبره، الا أنه عرف فى الحال ما كنت أشعر به.

وضع على بطانيتين أو ثلاث، وذهب الى المنزل ليحضر لى بعض الماء الدافئ. وسمعته يهمس ان جو جرين كان غبيا لأنه لم يضع بطانيتى على، ولم يعطنى طعاما دافئا آكله، وماء دافئا أشربه.

كنت مريضا جدا. أصابنى التهاب حاد فى الرئتين وكل نفس كان يؤلمنى. بقى جون بجانبى يرعانى ليلا ونهارا، كما كان سيدى يأتى ليطمئن على كل يوم.

كان يقول: مسكين يا بلاكى، أنت الذى أنقذت حياة السيدة، والآن أنت نفسك مريض .

شعرت بفخر لأننى أنقذت حياة سيدتى وسمعت جون يقول انه لم ير طيلة حياته حصانا يجرى بأسرع مما كنت أجرى.



ظللت مـريضـا لفـتـرة طويلة لكن فى نـهـاية الأمـر بدأت أشعر بتـحسن. جاءنى طبيب الخيول عدة مرات بالدواء وهو ما ساعدنى على التخلص من الالتهاب.

وظل جون غاضبا من جو جرين لمدة طويلة، لكنه أدرك أخيـرا أن الصبى لم يتـعمد ايذائى، ولم يكن يعرف ما الذى يجب أن يفعله.

الفصل الرابع عشر

الرحيل عن بيتنا السعيد

بعد أن قضيت ثلاث سنوات فى بيتى السعيد فى بيرتويك بارك، كان لدى شعور أن شيئا محزنا سوف يحدث. لقد عرفنا منذ فترة أن السيدة كانت مريضة. كان القلق يبدو على السيد والطبيب يأتى إلى المنزل عدة مرات أسبوعيا. ثم سمعنا الخبر الرهيب. قال الطبيب أن السيدة بحاجة إلى الانتقال إلى جو دافىء لبضع سنوات وأنها يجب أن تنقل بأسرع ما يمكن. قام السيد بإجراء الترتيبات اللازمة للانتقال بقدر ما فى استطاعته من سرعة وشعر كل من فى البيت بالتعاسة.

كان جون يؤدى عمله، لكنه كان قليل الكلام ونادرا مايبتسم، ولم يكن جو يتكلم على الاطلاق. وسرعان ماعرفت



أنا وجينجر أين سيكون منزلنا القادم. باعنا السيد إلى صديق قديم اعتقد أنه سوف يكون سيدا طيبا. بينما كان قس البلدة يرغب في السيسى فأعطاه السيد ميرى ليجز بشرط ألا يباع مرة ثانية أبدا، وعندما يتقدم فى السن ويصبح غير قادر على العمل، يطلق عليه الرصاص ويدفن.

جاء يوم رحيل السيد والسيدة من بيرتويك بارك. أحضرت أنا وجينجر العربة إلى باب الردهة للمرة الأخيرة. أحضر الخدم السجاد ولوازم المنزل، وعندما تم تنظيم كل شىء، نزل السيد حاملا السيدة ووضعها فى العربة، ثم التفت إلى الخدم وقال وداعا وشكرا على خدمتكم المخلصة.

رحلنا إلى محطة السكة الحديد بايقاع بطىء، وعندما وصلنا أخيرا إلى المحطة قالت السيدة: «الوداع، ليباركك الله ياجون، سوف نذكرك دائما»

لم يرد جون لكننى كنت أشعر باللجام يرتجف فى يده وكنت أعرف أنه غير قادر على الكلام. عندما أنزلوا كل شىء من العربة، ذهب جون إلى الرصيف وجاء جو ليقف بجوارنا. وضع جو وجهه بالقرب من رأسينا ليخفى دموعه. مسكين جو! كم كان حزينا! سرعان ما جاء القطار إلى المحطة. بعد برهة، أغلقت الأبواب، وانطلقت صفارة ثم تحرك القطار مبتعدا. وسرعان ماتوارى عن الأنظار.





وعندما عاد جون قال: «لقد رحلوا!! لن نراهم مرة ثانية أبدا»

تركنا المحطة بقلوب حزينة، وجلس جو بجوار جوَّن يقودان العربة بنا إلى بيرتويك بارك.

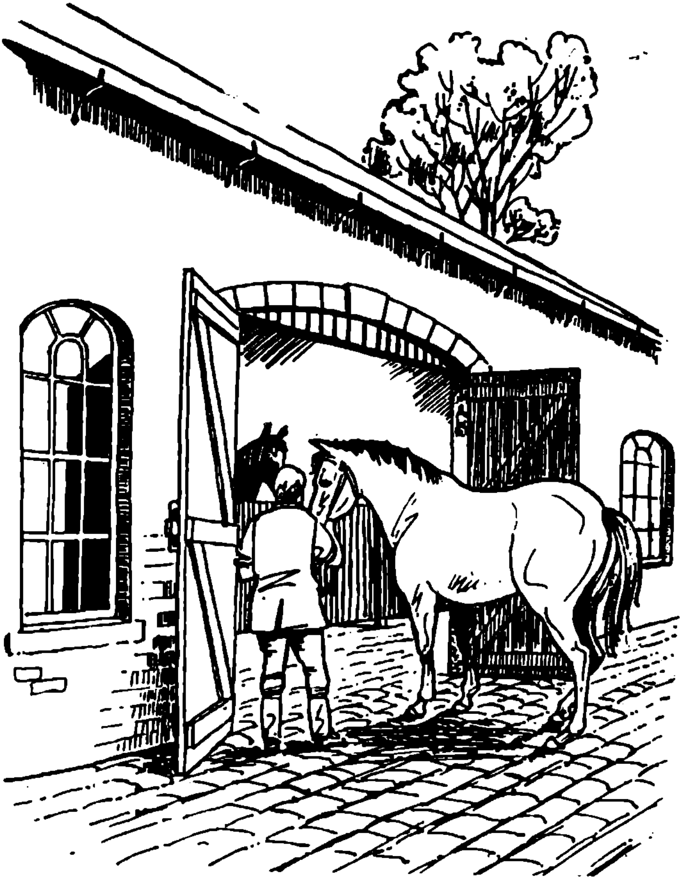


الفصل الخامس عشر

ايرلشال بارك

بعد إفطار صباح اليوم التالى حان وقت رحيلنا. صهل ميرى ليجز من الجانب الآخر للفناء بينما جاء جو ليودعنا. وضع جون زمام الركوب فوقى بينما وضع السرج واللجام على جينجر. ثم اقتادنا إلى بيتنا الجديد فى ايرلشال بارك.

عندما وصلنا إلى هناك، طلب جون التحدث مع مستر يورك. مر وقت طويل إلى أن أتى ليقابلنا. كان صوته صارما ويرتدى ملابس أنيقة. ألقى نظرة سريعة على أن وجينجر ثم أخذنا سائس إلى الاسطبل. كان الاسطبل منيرا وجيد التهوية، ووضعنا السائس فى مربطين متجاورين. بعد حوالى نصف ساعة جاء مستريورك وجون إلى الاسطبل وتكلما بشأننا. كان



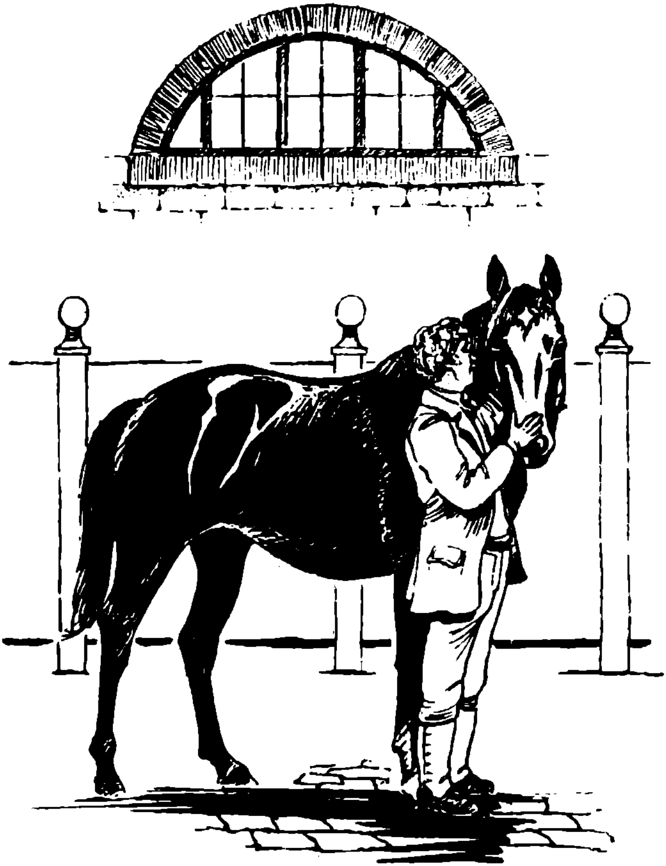
مستر يورك يريد أن يعرف إذا كان لدينا أية عادات سيئة أو إذا كانت هناك أشياء معينة نحبها أو نكرهها. أخبره جون أننا تعمل بروح الفريق وأننا نجتهد إذا لقينا رعاية ومعاملة طيبة كما أخبره بحياة جينجر الشاقة وحذره من أنها قد تعود إلى طباعها السيئة إذا أسيئت معاملتها. وبينما كانا يتركان الاسطبل توقف جون وقال:

«أعتقد أنك يجب أن تعرف أننا لم نستخدم أبد الزمام الكابح مع أى من هذين الفرسين. أخبرنا التاجر أن شكيمة الفم هى التى أفسدت طباع جينجر. أما الفرس الأسود فلم يضعها على الاطلاق»

قال يورك: «أنا شخصيا أفضل الزمام الرخو، كما أن المالك متفهم للخيل. لكن للأسف أن زوجته لديها أفكار مختلفة. فعندما تخرج فى العربة تصر على أن تكبح الخيل بشدة لأنها تريد أن تساير الموضة، فى هذه الحال سوف يجب عليهما وضع الزمام الكابح»

قال جون: «أنا حزين جدا لسماع ذلك لكن أرجو أن ترعى الفرسين جيدا وتعاملهما معاملة طيبة»

ثم جاء جون إلينا وهمس بكلمات طيبة ودودة: كان صوته يرتجف ويدا حزينا جدا.



لم أعرف كيف أقول وداعا، لكننى وضعت رأسى بالقرب منه وحسب، بعد لحظات قليلة رحل جون ولن أراه مرة أخرى أبدا.

وعندما جاء مالكنا الجديد ليرانا فى اليوم التالى كان سعيدا بنا. أخبره مستر يورك بما قاله جون بشأن الزمام الكابح. استمع إليه بتعقل وقال أنه فهم الأمر. ومع ذلك، ولما كانت زوجته تصر على استخدام الزمام الكابح، فقد كان على مستر يورك أن يعودنا عليه بعض الوقت.

وفى اليوم التالى، أسرجنا مستر يورك أنا وجينجر وربطنا إلى العربة.

جاءت السيدة؛ كانت طويلة وترتدى ملابس جميلة. نظرت إلينا وبدا أن شيئا ما كان يقلقها، لكنها ركبت العربة ولم تتكلم.

كان الزمام الكابح غير مريح لأننى لم أكن قادرا أن أنزل رأسى عندما أريد ذلك، لكنه على الأقل لم يرفع رأسى إلى أعلى من المستوى الذى اعتدت عليه. كانت جينجر هادئة وثابتة، لكننى كنت قلقا بشأنها.

فى اليوم التالى، لبسنا السرج مرة أخرى وربطنا إلى العربة. جاءت السيدة وقالت:





«أنا لايعجبنى منظر هذين الحصانين يامستر يورك، ارفع رأسيهما أعلى من ذلك»

حاول يورك أن يشرح لها أننا لسنا معتادين على الزمام الكابح، لكنها أمرته أن يضيقه.

لم يمض وقت طويل حتى أدركت أن كل القصص المرعبة التى سمعتها من الخيول الأخرى التى تجر العربات كانت حقيقية.

كل يوم يمر كان الزمام يضيق أكثر وأكثر حتى أصبحت أتوجس خيفة من وضع السرج. كان جر العربة فى المرتفعات شاقا علينا. كان علينا أن نجرها ورأسانا مرفوعتان إلى أعلى وهو أمر مؤلم للغاية. لقد أدى ذلك إلى آلام شديدة فى سيقاننا وظهورنا، فبدأت روحى المعنوية تنخفض وبدأت جينجر تزداد اضطرابا، فكانت لاتتحدث على الاطلاق.

وعلى مدى الأيام القليلة الماضية، لم يكن هناك المزيد من تضييق للزمام، وظننت أننا تخطينا أسوأ شىء. لكن كان هناك ما هو أسوأ من ذلك.

الفصل السادس عشر

معاملة قاسية

ذات يوم جاءت السيدة بعد الظهر متأخرة عن الموعد اليومى المعتاد لركوب الخيل. كانت هناك نظرة غاضبة على وجهها وأمرت يورك أن يرفع رأسينا أعلى من ذلك. جاء إلى وأوثق زمامى إلى درجة أن رأسى كان مشدود للوراء فى وضع لايحتمل. أدركت جينجر أنه سوف يفعل بها نفس الشيء وبدأت ترمى رأسها لأعلى وأسفل نجح يورك أن يحل زمامها ليجعله أقصر، وفى هذه اللحظة شبت جينجر لأعلى على غير توقع حتى أنه أصيب فى أنفه وكاد السائس يسقط على الأرض. حاولوا تهدئتها فى الحال الا أن جينجر ظلت تشب وترفس وتلقى بنفسها هنا وهناك. فى النهاية ارتطمت جينجر بعامود العربة وسقطت. وربما أنها كانت سوف تسبب



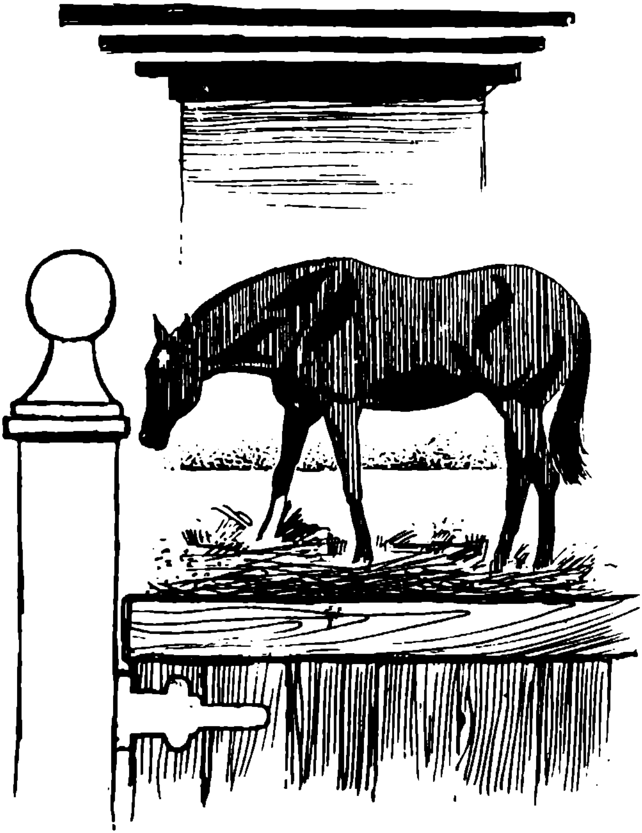


المزيد من الخسائر إذا لم ينزل يورك راسها ليمنعها من المقاومة.

ثم تمكن السائس من أن يحلنى من جينجر والعربة وأعادنى إلى الاسطبل. بعد ذلك بقليل، أحضر سائسان جينجر إلى الاسطبل. كان بها العديد من الرضوض والكدمات. جاء يورك ليطمئن علينا وكان مهموما لما حدث. وكان متبرما من عالم أصبحت فيه الموضه أهم من الكائنات الحية، وتمنى لو أنه لم يقم بتضييق الزمام. وبمجرد أن شفيت جراح جينجر أخذها أحد أبناء السيد للصيد، فلم تعد تربط إلى العربة مرة أخرى أبدا.

أما أنا فمازال ينبغى على أن أجر العربة، لكن الآن لى شريك جديد.

من المستحيل أن أصف لكم مقدار الألم الذى عانيته على مدار أربعة شهور طوال بسبب ذلك الزمام. إذا كان الوضع قد استمر أكثر من ذلك فمن المؤكد أننى سأفقد صحتى وطباعى الحسنة. إن شد الشكيمة الحادة فوق لسانى وفكى جعل فمى يزبد، كما أن الوضع غير الطبيعى لرأسى سبب ضغطا على رئتى وجعل تنفسى مؤلما للغاية. عندما أعود إلى الاسطبل كنت أشعر بالتعب الشديد، وصدرى ورقبتى يؤلماننى،



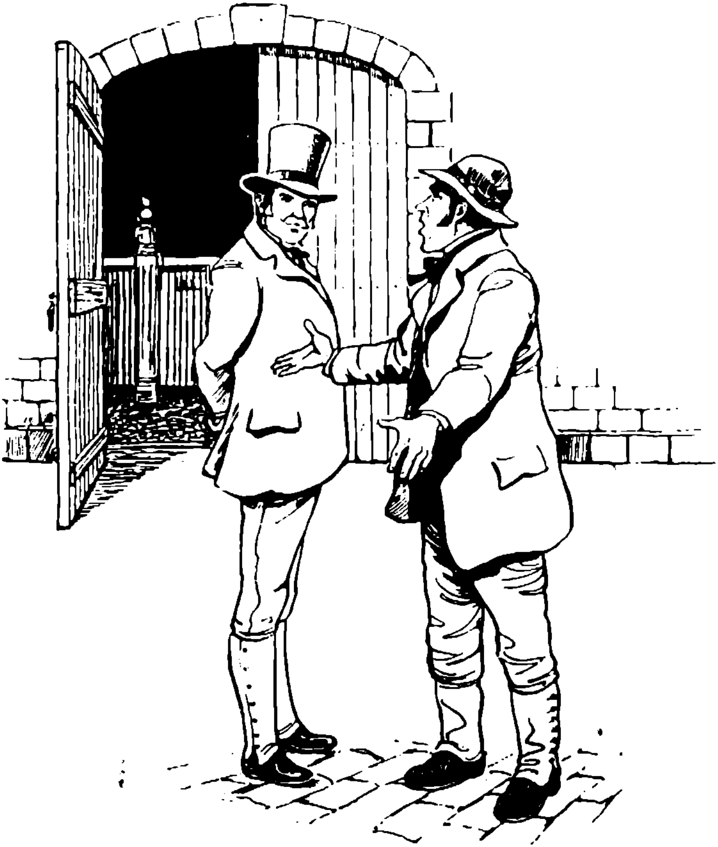
ويسرى الوجع فى فمى ولسانى. شعرت باكتئاب وتملكنى اليأس.

فى بيتى القديم ، كان جون والسيد أصدقائى، لكن هنا ليس لى أصدقاء. فلابد أن يورك كان يعلم ماأعانى لكنه لم يفعل أى شىء ليساعدنى.

الفصل السابع عشر

فى رعاية روبين سميث

كان يورك يرحل أحيانا فى رحلة عمل. فى هذه الحال كان يترك الاسطبلات فى رعاية رجل يدعى روبين سميث. كان روبين رجلا طيبا عطوفا يعرف كيف يرعى الخيل بطريقة سليمة، لكنه أيضا كان لديه مشكلة. فقد كان أحيانا يشرب الخمر حتى الثمالة، وعندما يكون شديد السكر لايمكن الاعتماد عليه، فان سلوكه يكون مخزيا ومزعجا للجميع. كان يورك يعرف المشكلة لكنه قرر أن روبين سوف يكون أهلا للثقة لأنه وعده أنه لن يمس نقطة خمر واحدة عندما يكون مسئولا عن الاسطبلات.



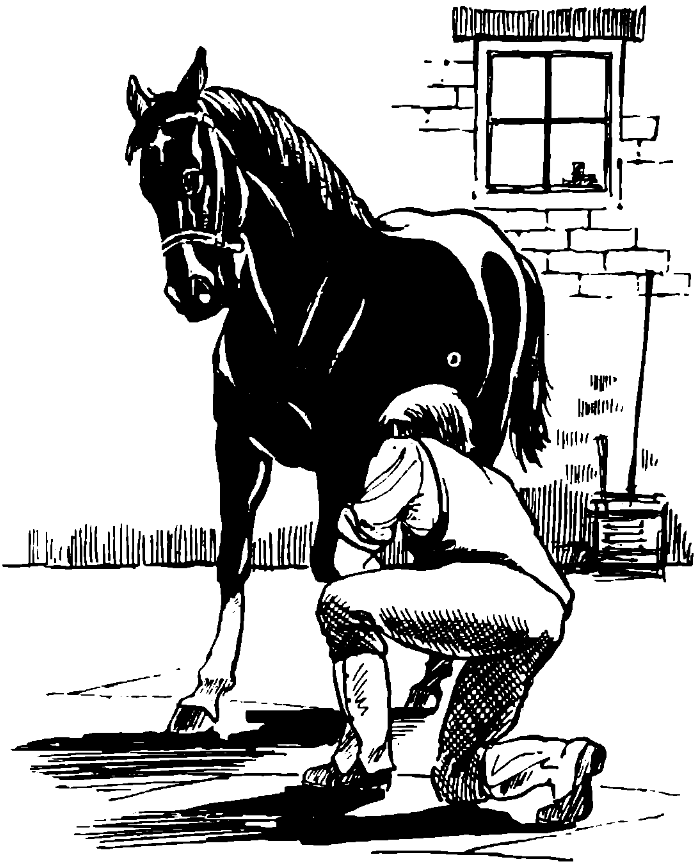
كان من المتوقع أن تعود الأسرة إلى ايرلشال بارك فى مايو، وفى يوم فى أوائل أبريل أرسلوا روبين إلى البلدة لانجاز بعض المهام. كان على أن أجر العربة. سرنا بتؤدة وثبات، وعندما وصلنا هناك أخذنى سائس إلى اسطبل لآكل وأستريح قبل رحلة العودة إلى البيت.

كنت أشعر بأن هناك مسمارا مفكوكا فى أحد حدوتى الأماميتين إلا أن سائس الاسطبل لم يلحظ ذلك. عاد روبين إلى الاسطبل بعد عدة ساعات، وقال أنه مازال أمامنا ساعة على الأقل قبل أن نبدا رحلة العودة لأنه يريد قضاء بعض الوقت مع أصدقاء له كانوا أيضا بالبلدة. قبل ذلك بوقت قليل لاحظ السائس أن هناك مسمارا مفكوكا بحدوتى وسأل روبين ما الذى ينبغى أن يفعله حيال ذلك.

قال روبين: «لاتفعل شيئا، سوف أقوم باللازم عندما نعود إلى البيت. سوف يكون على ما يرام حتى نصل إلى هناك»

اندهشت عندما سمعت روبين يقول هذا لأنه كان دائما يهتم بهذه الأمور فى الماضى. كان يتحدث بصوت عال وغاضب وكان يبدو فى حالة مزاجية سيئة. ثم ذهب.

عاد روبين فى التاسعة مساء وكان واضحا أنه أسرف فى الشراب. كان الظلام مازال حالكا عندما بدأنا رحلة العودة.





ولم نكن قد غادرنا البلدة بعد عندما جعلنى روبين أركض على طريق حجرى. ومع هذا العدو السريع انخلعت الحدوة المفكوكة. أنا متأكد أنه لو لم يكن روبين ثملا إلى هذا الحد لكان قد لاحظ ذلك على الفور وأبطأ من سرعتى. لكن بدلا من ذلك، ظل يعدو بى أسرع وأسرع حتى بدأت قدمى تؤلمنى بشدة .لقد شقت الصخور ظهر حافرى وانشقت الجوانب وتكسرت، فكان الاستمرار مستحيلا.

كان الألم أشد من قدرتى على الاحتمال، فتعثرت بشدة وسقطت على ركبى بقوة لدرجة أن سقط روبين من فوقى. سمعت صوت ارتطام قوى عندما سقط جسده على الأرض. فتحاملت فورا على أقدامى وتمكنت أن أعرج إلى جانب الطريق. عندئذ كان القمر قد ارتفع واستطعت أن أرى روبين راقدا فى منتصف الطريق. وسمعته يتأوه لكنه كان ساكنا تماما.

كنت فى شدة الألم لذا وقفت على الطريق منتظرا فى ليل أبريل الهادئ. وتذكرت الأيام الماضية عندما كنت أرقد على المروج الخضراء، وأمى إلى جوارى.

وبينما كنت واقفا أنصت إلى صوت خيول أو عجلات عربات أو وقع أقدام. كان ألمى يشتد. كم تمنيت أن يأتينا الغوث سريعا.





الفصل الثامن عشر

نتائج ماسوية

مر الوقت بطيئا ولابد أنه كان منتصف الليل تقريبا عندما سمعت وقع حوافر حصان على الطريق. تصورت أننى عرفت خطوات جينجر وأطلقت صهيلا عاليا عندما تأكدت من أنها هى. أبطأت العربة الآن وتوقفت عندما وصلت إلى الجسم المظلم الراقد على الأرض بلا حراك. نزل أحد الرجلين من العربة وركع بجوار روبين. بعد دقيقة أو اثنتين قال:

«انه ميت. يداه باردتان. أخشى أن روبين قد مات»

كان شعر روبين غارقًا فى الدماء ولم تكن هناك أى علامة للحياة عندما رفعه الرجلان بعدما أرقداه ثانية، جاءا ليفحصانى، فوجدا ركبى مجروحة وقدمى مضارة بشدة. ولم



يستغرقا وقتا طويلا ليستنتجا ماذا حدث أو ليدركا أن روبين هو الذى تسبب فى وفاته بسكره الشديد.

ان هى إلا لحظات حتى بدأنا رحلتنا الحزينة إلى البيت. كنت أشعر بألم شديد وأنا أعرج ببطء إلى الاسطبل. عندما وصلت إلى هناك، غسلوا قدمي وضمدوها، ولفوا قطعة قماش رطبة حول ركبي. وعلى الرغم من الألم الرهيب، تمكنت من الاستلقاء على القش الناعم والنوم. جاء طبيب الخيول فى اليوم التالى ليفحص سيقانى. قال الطبيب إن جراحى سوف تلتئم مع الوقت لكنها ستترك أثرا دائما على ركبى. لقد بذلوا أقصى ما فى وسعهم لعلاجى لكن آلامى كانت شديدة. فقاموا بكى ضمادات الجروح على ركبى باستخدام مرهم قوى. وبعد أن التأمت، وضعوا علاجا للبثور على مقدمة ركبتى لنزع كل الشعر الذى يغطيهما. لاأعرف لماذا فعلوا ذلك، لكن لابد أنه كان لديهم سبب.

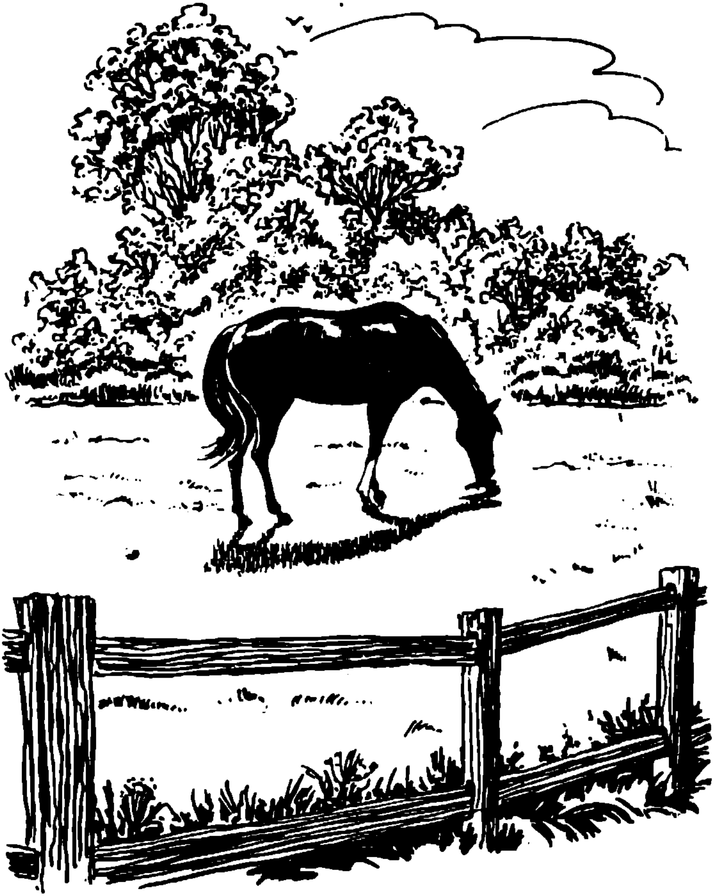
أجرى تحقيق لأن موت روبين كان مفاجئا ولم يكن هناك شهود. شهد حارس الفندق أن روبين كان ثملا للغاية فى تلك الليلة وأننا غادرنا البلدة وأنا أركض بسرعة كبيرة. وتم العثور على حدوتى بين الأحجار، فكان سبب الوفاة واضحا تماما، ولم أكن ملوما على ما حدث.



الفصل التاسع عشر

أصبحت حطاما معروضا للبيع

بمجرد أن التأمت جراحى، أخذونى إلى حقل صغير. كنت مستمتعا بالحرية والحشائش الخضراء، لكننى كنت أشعر بوحدة شديدة لأنه لم يكن معى أى حيوانات أخرى. افتقدت جينجر كثيرا لأننا كنا قد أصبحنا صديقين حميمين. عندما كنت أسمع صوت خيول مارة على الطريق غالبا كنت أصهل لكن نادرا ماكان يأتينى أى رد. فى يوم من الأيام، أحضروا جينجر إلى الحقل، فصهلت فى فرح عندما رأيتها قادمة نحوى. ولكن سرعان ما عرفت أنها لم تأت للحقل لتكون رفيقا لى. قد يستغرق الأمر وقتا طويلا لأحكى حكايتها، لكن انتهى الأمر بجينجر مدمرة ومحطمة بسبب سؤ الاستخدام.





وهى موجودة فى الحقل الآن لترى ماذا يمكن للحرية وقسط من الراحة أن يفعل بها.

نظرت جينجر إلى بحزن وقالت: «ان الحياة شاقة بالنسبة لنا، فها نحن، حطام ونحن فى ريعان الشباب»

على الرغم من أننا كنا نعلم أننا لم نعد كما كنا من قبل، إلا أننا استمتعنا بصحبة أحدنا الآخر. لم نعد الآن نركض أو نلعب كما كنا نفعل ذات يوم، لكننا نقضى أيامنا فى أكل الحشائش النضرة والوقوف متجاورين تحت ظلال الأشجار.

بقينا سويا أنا وجينجر لبعض الوقت حتى عاد السيد من رحلة طويلة. جاء إلى الحقل مع يورك وفحصانا بإمعان. وبدا على السيد الانزعاج الشديد وقال:

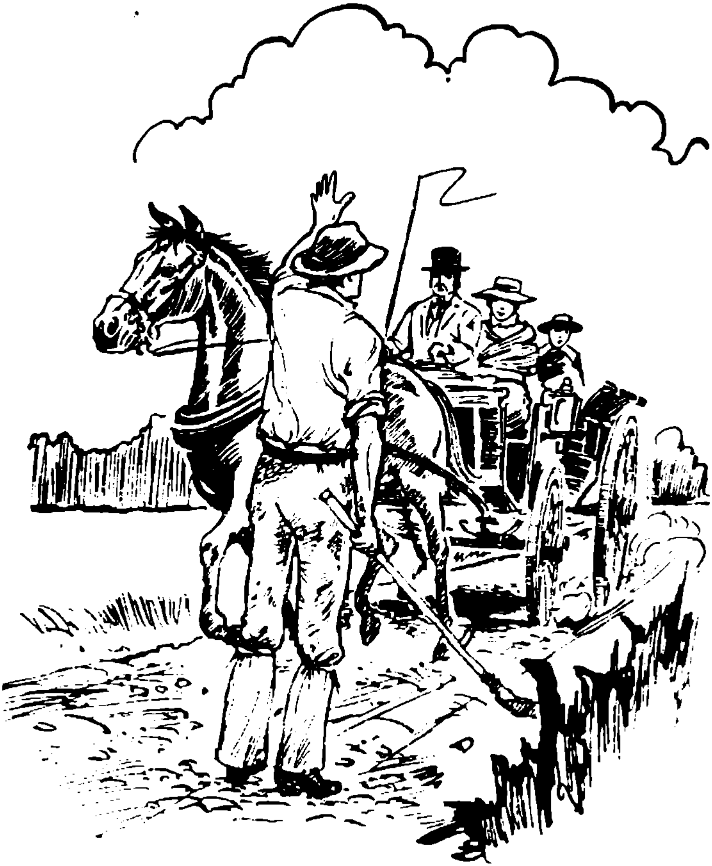
«لقد أعطانى صديق عزيز هذين الحصانين لأنه كان يعتقد أنهما سيحظيان ببيت مريح عندى. لكننى أرى الآن أنهما قد صارا حطاما. ومع ذلك، سوف نبقى جينجر هنا لعدة شهور أخرى ثم نرى كيف ستكون حالتها. لكن الفرس الأسود لابد أن يباع. أنه أمر مؤسف لكن لا يمكن أن يكون فى اسطبلى حصان له هذه الركب». كان السيد مقتنعا بأن يبيعنى إلى رجل يعرفه يورك، كان يعتقد أنه سوف يحسن معاملتى ولن يعترض على ركبى المصابة.

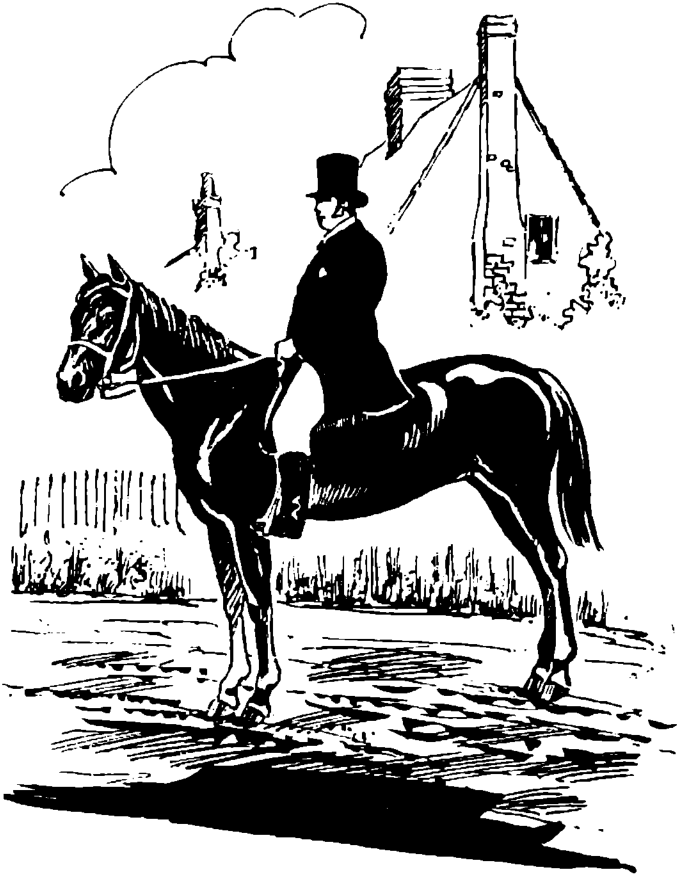


ذهبت بالقطار إلى مدينة أخرى. كان الاسطبل الجديد دافئا ومريحا، لكنه يبدو صغيرا بعض الشيء مقارنة بما اعتدت عليه من قبل. كان هناك الكثير من الخيول والعربات التى يؤجرها مالكى الجديد، وأحيانا يركبها رجاله بأنفسهم، وفى أحيان أخرى يركبها السيدات والرجال الذين يستأجرونها.

وقبل أن آتى إلى هذا المكان لم يمتطينى أبدا إلا أشخاص يجيدون ركوب الخيل. لكن هنا، كان الأمر مختلفا؛ فقد ركبنى كل أنواع البشر.

وفى يوم من الأيام، استأجرنى رجل وأسرته. بمجرد أن انطلقنا شد اللجام، وعلى الرغم من أننى كنت أسير بسرعة مناسبة، إلا أنه ضربنى بالسوط عدة مرات. انحشر حجر فى حافرى الأمامى إلا أن هذا الرجل لم يلحظ. لقد كان مشغولا جدا بالضحك والحديث. أى شخص يجيد ركوب الخيل كان سوف يلحظ أن هناك شيئا مابمجرد أن أخطو بضع خطوات، لكننا قطعنا أكثر من نصف ميل قبل أن يلحظ أننى كنت أعرج. وتم اخراج الحصوة من حافرى المكدود على يد فلاح طيب أوقفنا فى الطريق. عندما كنت أستأجر كحصان عمل، كان لدى الكثير من التجارب المؤلمة من هذا النوع.





وفى يوم من الأيام، وبعد أسابيع وأسابيع من هذا الاستخدام القاسى استأجرت رجل محترم ركبنى بمهارة شديدة. لقد كانت راحة كبيرة أن يركبنى أحد بهذه المهارة، وأستطيع أن أقول أن الرجل قد أعجب بى، لذا فقد بذلت ما فى وسعى من أجله . لقد ذكرنى بالأيام الخوالى، فكنت سعيدا.

بعد ذلك اليوم. جاء الرجل عدة مرات ليجرب أن يمتطينى وأنا أرتدى السرج. كان يبحث عن حصان آمن حسن الطباع ليركبه صديق له. فى ذلك الصيف، باعنى سيدى إلى مستر بارى.

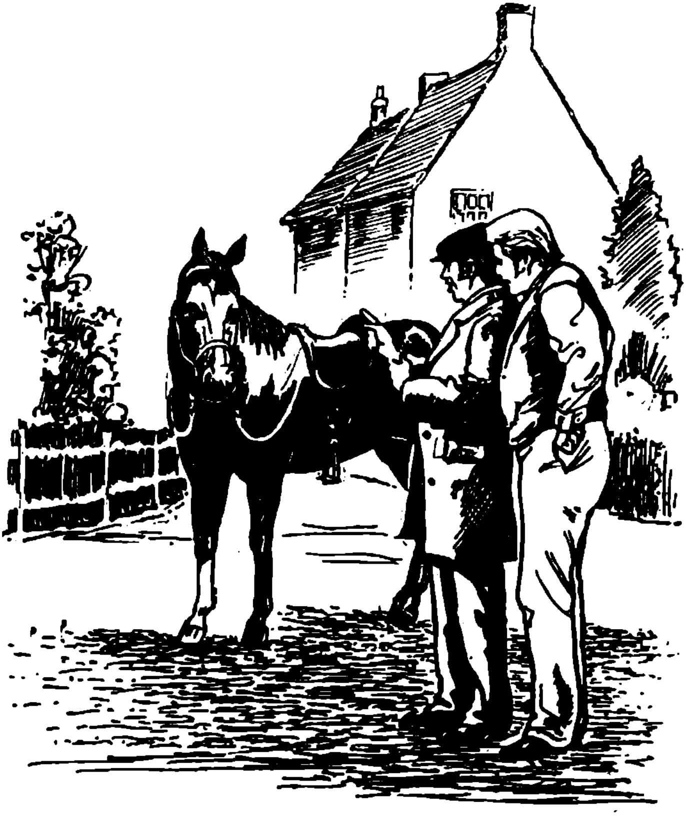


الفصل العشرون

لص يسرق طعامى

كان مستر بارى، سيدى الجديد، رجل أعمال يعيش بمفرده فى منزل صغير، وقد نصحه طبيبه بركوب الخيل. استأجر سيدى سائسا يدعى فيلشر، وعشت فى اسطبل بالايجار بالقرب من المنزل. عاملنى السيد معاملة طيبة على الرغم من أنه لم يكن يعرف الكثير عن الخيل. وأمر بإحضار شوفان وفول مجروش ونخالة وكمية وفيرة من أجود أنواع التبن من أجلى. واعتقدت أننى محظوظ للغاية عندما سمعته يأمر بكل هذا الطعام. وسار كل شىء على مايرام لثلاثة أو أربعة أيام.

كان فيلشر يحافظ دوما على نظافة الاسطبل، كما كان يغسل جسمى وينظفنى بالفرشاة. لكن بعد مرور بعض الوقت،



بدأت أدرك أن هناك شيئا ما غير صحيح فى طعامى. فقد كنت أتناول الفول والنخالة، لكننى لم أكن أحصل على كفايتى من الشوفان. بعد عدة أسابيع اعترانى شيء من التغيير. أصبحت ضعيفا ولكن بالطبع لم أستطع أن أخبر أى أحد بما يحدث لطعامى.

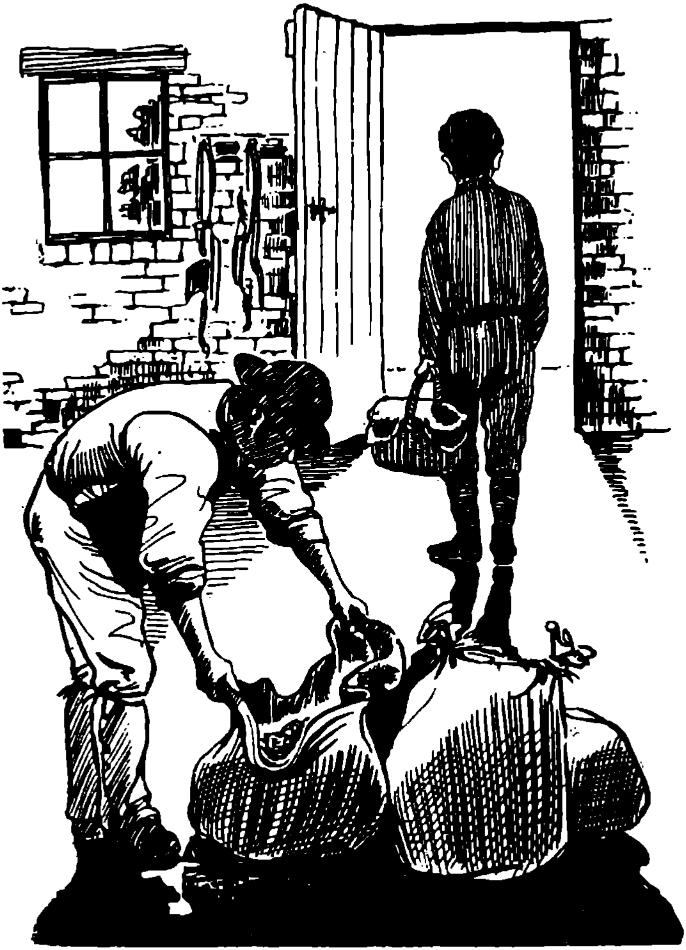
مرت شهور وأنا مندهش كيف لم يلحظ سيدى أن هناك خطأ ما. ثم ذات يوم ركبنى السيد بعد الظهر إلى الريف لزيارة صديق. كان هذا الصديق على دراية واسعة بشئون الخيل. فنظر إلى مليا وقال:

«ان فرسك لايبدو لى فى حالة جيدة. لا أود أن أقول ذلك لكنى أعتقد أنه لا يأكل جيدا»

قال له السيد انه لا يأتى لى الابأجود أنواع الطعام. تدبرا الأمر لحظات ثم أيقن السيد أن شيئا مايحدث لطعامى.

لو أننى كنت أستطيع الكلام لحكيت له عما يحدث للشوفان. كل صباح يجئ السائس مع صبى صغير يحمل سلة مغطاة، فيضعان بعض الشوفان الخاص بى فى السلة ثم يأخذها الصبى ويذهب إلى المنزل.

وذات صباح، بعد أسبوع من زيارة السيد لصديقه، جاء شرطى وقبض على الصبى وهو يغادر الاسطبل. كان الصبى



مذعورا وحاول أن يصرخ لكن الشرطى أجبره على اخباره أين يخزن الشوفان وكيف كان يملأ سلته كل صباح.

ولم يمض وقت طويل حتى تم العثور على فيلشر وأبعد هو والصبى. وفى وقت لاحق سمعت أنهم أطلقوا سراح الصبى، بينما سجن فيلشر لمدة شهرين.



الفصل الحادى والعشرون

للبيع فى سوق الخيول

استأجر السيد سائسا جديدا بعد أن رحل فليشر. فى البداية، كان السائس الجديد يقدم لى الرعاية الكافية وبدا أنه الرجل المناسب لى. لكن بمرور الأيام، بدأ يتجاهلنى أكثر وأكثر، فكان نادرا مايخرجنى لرياضتى اليومية، وغالبا ماكان يترك الاسطبل أسابيع بدون تنظيف. وسرعان ماتسبب وقوفى فى اسطبل قذر رطب فى إصابة حوافرى بالتهاب.

بعد تلك التجارب السيئة، قرر سيدى أن تربية الخيول تجلب الكثير من المتاعب.

وبعد أيام قليلة، عرضنى السيد للبيع فى سوق الخيول. وعلى الرغم من أن السوق قد يكون متعة كبيرة للناس، الا أنه



مؤلم جدا للحصان. كان على أن أقف مع حصانين أو ثلاثة آخرين فى نفس حجمى وهيكلى. ويتفحصنا الكثير من الأشخاص.

فعلوا جميعا نفس الشيء. أولا فتحوا فمى ليفحصوا أسنانى، ثم نظروا فى عينى، وتحسسوا سيقانى من أعلى إلى أسفل. كان بعضهم يفعل كل ذلك بلطف ويتحدث إلى بكلمات طيبة ويربت على، لكن كان هناك آخرون فى غاية الخشونة ولايبالون بى.

كان أحد الذين فحصونى رجلا ضئيل الجسم قوى البنيان، وله عينان رماديتان بهما نظرة طيبة، وتحدث إلى بصوت رقيق حان تمنيت أن يشترينى. قال إنه سوف يدفع ثمنا مجزيا لكن عرضه لم يلق قبولا وعندما نظرت حولى كان قد اختفى.

كان الرجل التالى الذى فحصنى قاسى النظرات أجش الصوت. خفت أن يشترينى، لكن لحسن الحظ أنه رحل. ثم جاء رجلان أوثلاثة آخرون لكنهم لم يقدموا أى عروض. ثم عاد الرجل ذو النظرة القاسية وبدأ يساوم من أجلى. فى هذه اللحظة عاد الرجل الطيب ذو العينين الرماديتين، فوضعت رأسى بالقرب منه. فربت على برقة وعرض على البائع ثمنا



أغلى كثيرا من العرض الذى قدمه الرجل القاسى. دفع الرجل النقود فى الحال وأصبح لى سيد جديد. اقتادنى إلى الخارج وأعطانى بعض الشوفان ثم بدأنا رحلتنا إلى البيت.

كـانت رحلة طويلة لكن فى النهـاية وصلنا إلى منزل صغير. أطلق السيد صفيراً، فانفتح الباب وخرجت منه سيدة شابة وولد وفتاة صغيران جاءوا لتحيتنا. وسرعان ماربتوا جميعا على وتحدثوا إلى بأصوات رقيقة. كان شعورا رائعاً أن أكون فى هذا المكان.



الفصل الثانى والعشرون

حصان حنطور

كان اسم السيد الجديد جيرمى بيكر، لكن الجميع كانوا ينادونه جيرى. وكانت زوجته تدعى بولى، وهى سيدة جميلة شعرها غامق لامع، ولها عينان لونهما بنى غامق . وكان لهما طفلان، ولد عمره إثنا عشر عاما، وبنت اسمها دوللى عمرها ثمان سنوات. انني لم أرفى حياتى مثل هذه الأسرة المتحابة.

كان جيرى يمتلك عربة حنطور يقودها فى المدينة، وكان على أن أجر العربة مع حصانه الثانى «كابتن».

جاءت بولى ودوللى لزيارتى فى صباح أول يوم لى فى بيتى الجديد. كانا يريدان أن نصبح أصدقاء وقد أحضرا لى الخبز والتفاح. أنه شعور طيب أن أجد أحدا يربت على ظهرى

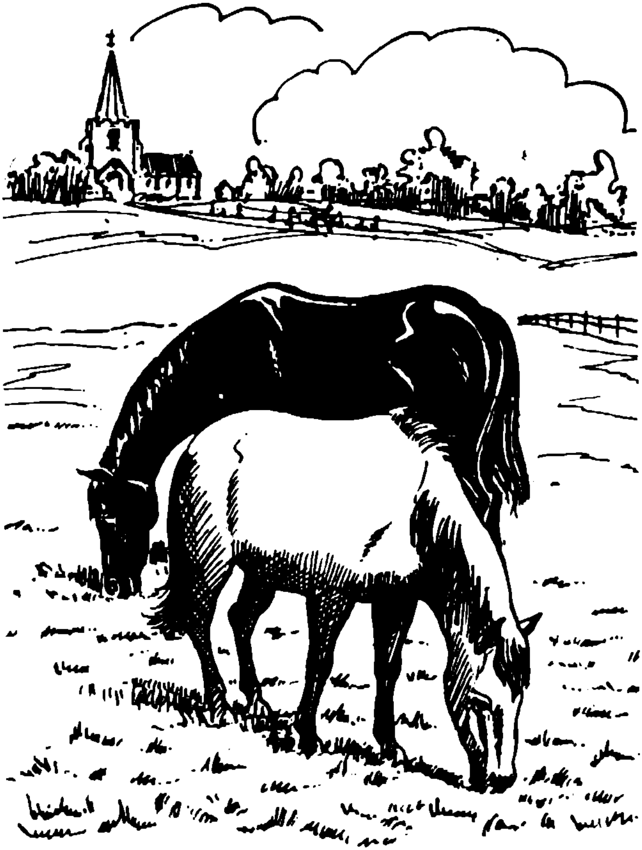


ويكلمنى مرة أخرى. لقد قالا اننى حصان وسيم جدا وتساءلا كيف جرحت ركبى بمثل هذه الجروح الشديدة.

فى وقت متأخر من ذلك اليوم، ربطنى جيرى إلى العربة لأول مرة. لقد حرص كل الحرص على أن يطمئن أن الطوق واللجام فى وضعهما الصحيح. لم يكن على أن أقف ورأسى مرفوع لأعلى لم يكن هناك زمام كابح. كان جيرى يتباهى بى على سائقى الحناطير الآخرين؛ فقد كان فخورا جدا بى. قال بعضهم لابد أن بى شيئا ما لأننى أبدو فرسا جميلا. لكن جيرى كان فقط يربت على عنقى ويبتسم.

كان الأسبوع الأول الذى قمت فيه بجر العربة صعبا للغاية لأننى لم أكن معتادا على زحام المدينة وضجيجها. لكننى سرعان ماعرفت أنه بمقدورى الوثوق بجيرى، حتى اعتدت تدريجيا على الضجيج والهرج والمرج فى الشوارع.

وسرعان ماتعودنا على بعضنا البعض أنا وجيرى الذى كان يحسن رعايتى أنا وكابتن. كان يقدم لنا الطعام الجيد كما كان يجعل الاسطبل دائما نظيفا ومريحا. كان العمل كحصان حنطور عملا شاقا، لكن يوم الأحد كان وقتا خاصا لى أنا وكابتن لأنه يوم الراحة. أصبحنا صديقين حميمين وبدأت أشعر أننى أستعيد نفسى مرة أخرى لقد كنت سعيدا فى بيتى الجديد.



الفصل الثالث والعشرون

جيرى باركر: سيد طيب وعاقل

كان سيدى الجديد رجلا طيبا وصالحا. لم أعرف أحدا مثله أبدا من قبل. كان دائما يتمسك بما يؤمن به، لكن لأنه حسن الطباع نادرا ماكان يتشاجر مع أحد. الشيء الوحيد الذى يمكن أن يغضب جيرى باركر هو الناس الذين يطالبونه أن يضرب الخيول لتجرى أسرع لمجرد أنهم بدأوا رحلتهم متأخرين.

ذات يوم كان هناك شابان يترنحان خارجين من الفندق صاحا بجيرى:

«تعال هنا يا أجرة، وأسرع! اننا متأخران. وسوف نحسن مكافأتك إذا أوصلتنا إلى المحطة قبل أن ينطلق قطار الساعة الواحدة»





قال جيرى انه سوف يأخذهما لكن بسرعة آمنة ومقابل الأجرة المعتادة. بعد أن فكرا بالأمر دقيقة أو دقيقتين، ركب الرجلان العربة. شوارع المدينة تكون دائما مزدحمة فى منتصف اليوم يكون من الصعوبة أن يسير أحد بسرعة. ومع ذلك، فانه من المدهش مايمكن لسائق ماهر وحصان ماهر أن يفعلاه عندما يعملان معا بشكل جيد. فعندما نصمم أنا وجيرى على شيء، لا يمكن لأحد أن يتفوق علينا فى اختراق الشوارع المزدحمة. ولقد كان الأمر صعبا جدا فى هذا اليوم بالذات، لكن جيرى كان يقودنى بمهارة شديدة حتى أننا وصلنا إلى المحطة قبل الموعد بخمس دقائق على الأقل. وكان الشابان مسرورين للغاية.

قال أحدهما: «الحمد لله أننا وصلنا فى الوقت المناسب، وشكرا لك ياصديقى العزيز ولحصانك الرائع. انك لن تعرف أبدا ما الذى يعنيه هذا بالنسبة لنا»

حاول الرجلان أن يدفعا لجيرى أكثر من الأجرة المعتادة لكنه رفض وساعدهما فى إنزال الحقائب من العربة. لم يستطع أن يمنع نفسه من التساؤل عما كان شديد الأهمية بهذا القطار بالذات، لكنه شعور طيب أنه قد ساعد الشابين.



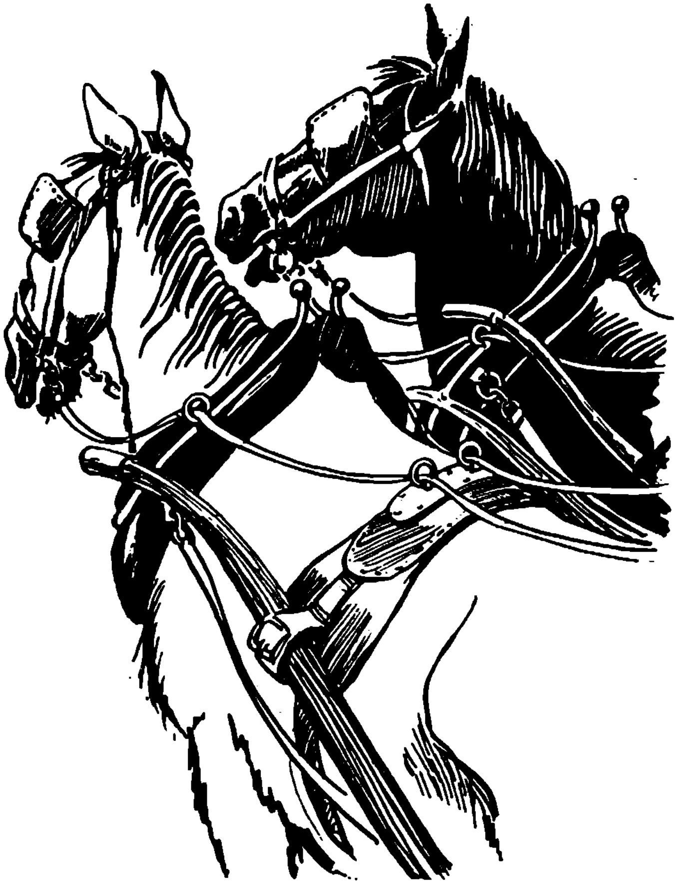
عندما عدنا إلى البيت فى المساء، حكى جيرى لدولى وبولى عن الرجلين وعن رحلتنا الماهرة فى زحام المرور. ثم ربتت دولى وبولى على كما لو أنهما يشكراننى لأننى وصلت جيرى والرجلين إلى المحطة سالمين. نظفنى جيرى بالفرشاة بعناية فائقة وأعطانى بعض الشوفان الدافئ لآكله.

الفصل الرابع والعشرون

رؤية جينجر المسكينة لآخر مرة

ذات يوم، كنت أنا وجيرى منتظرين أمام أحد المتنزهات مع العديد من سائقى الحناطير الآخرين. بعد دقائق قليلة، وقفت بجانبنا عربة قديمة حقيرة تجرها فرسة كستنائية اللون متهالكة. كانت الفرسة فى حالة سيئة للغاية، لاتحملها سيقانها، وتبرز عظام صدرها من خلال جلدها القذر المهمل. ذرت الريح بعض التبن الذى كنت آكله ناحيتها فمدت عنقها الطويل النحيل لتلتقطه. ثم استدارت بحثا عن المزيد فاستطعت أن أرى النظرة اليائسة فى عينيها فى نفس اللحظة التى كنت أفكر فيها أننى قد رأيت هذه الفرسة من قبل، حملقت هى فى وقالت: «هل هذا أنت يابلاك بيوتى؟»



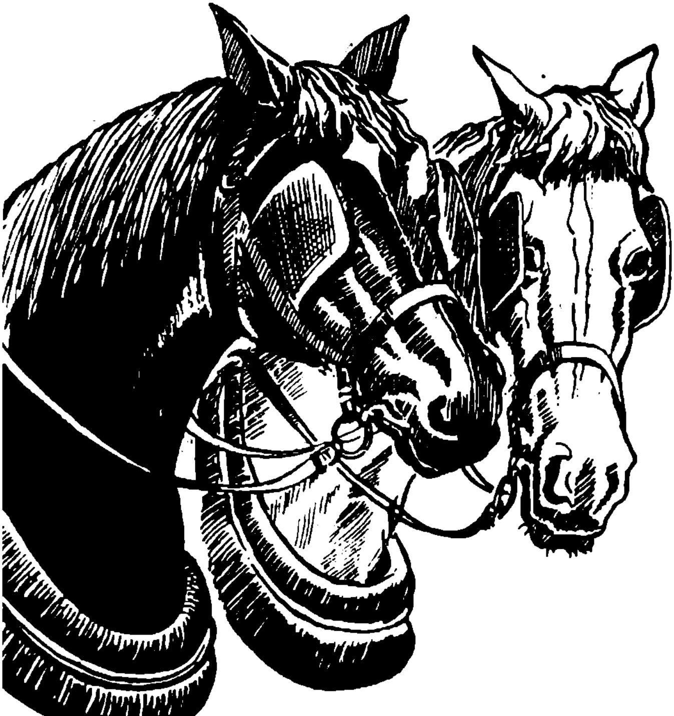


نعم، لقد كانت جينجر! وبدأت تحكى لى كل ماحدث منذ أن كنا معا فى الحقل. قالت لى أنه بعد عام من الراحة أصبحت فى حالة تسمح لها بالعودة للعمل فبيعت إلى سيد جديد. ولمدة قصيرة، كان كل شىء على مايرام. لكن للأسف وبالذات بعد رحلة شاقة وطويلة جرت خلالها بسرعة، التهبت جراحها القديمة. فتركت لفترة راحة قصيرة ثم بيعت مرة أخرى. وتنقلت من مالك إلى مالك حتى انتهى بها المطاف مع رجل لديه خيول وعربات يؤجرها للغير.

قالت جينجر بحزن: «عندما أدركوا أن ضعفى أصبح دائما، اشتكوا من أننى لاأستحق ما دفع فى من مال، وقرروا ربطى فى عربة أجرة صغيرة على أن يستخدموننى حتى تتلاشى قواى. هذا مايفعلونه بى، اننى أعمل وأضرب بالسياط دون أن أحظى براحة حتى فى يوم الأحد»

قلت: «فى الماضى عندما كان أحد يسىء معاملتك كنت تدافعين عن نفسك»

قالت: «نعم، فعلت ذلك فى الماضى . لكننى أعرف الآن انه لافائدة، فالبشر أقوى منا، وإذا كانوا قساة عديمى المشاعر، فليس هناك ما يمكننا أن نفعله حيال ذلك. نحن لابد أن نعانى حتى نموت اننى لم أعد قادرة على احتمال يوم فظيع آخر فى هذه الحياة أننى أتمنى الموت الآن»



غمرنى الحزن فلم استطع التفكير فى أية كلمات تريحها. فوضعت أنفى بالقرب من أنفها، وبدت سعيدة لرؤيتى. ثم تكلمت مرة أخرى:

«بلاك بيوتى، انك كنت دائما صديقى الوحيد»

فى تلك اللحظة وصل سائق العربة التى تجرها وجذبها بشدة من فمها فأخرجها من الصف وركب مبتعدا. بعد ذلك مباشرة مرت عربة كارو تحمل حصانا ميتا. كان مشهدا رهيبا! رأيت رأسا كستنائيا بغرة بيضاء على الجبين يتدلى من العربة والدماء تتساقط من اللسان. أظنها كانت المسكينة جينجر. على الأقل سوف تنتهى متاعبها الآن. أعتقد أنه سيكون أكثر رأفة بنا أن يرمونا بالرصاص قبل أن نصل إلى كل هذا البؤس والمعاناة.

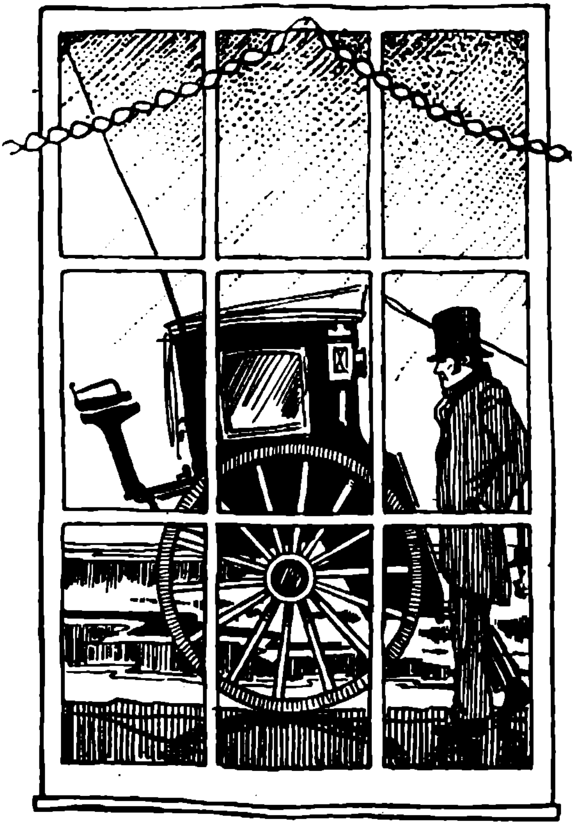


الفصل الخامس والعشرون

وداعا للأسرة المحبة

على الرغم من أن أيام الأجـازات كـالكريـسـمـاس ورأس السنة تـعتبـر أوقـاتا سعـيدة جدا لبعض الناس، إلا أن الخـيول وسائقى الحناطير لايرون ذلك. فعليهم أن يعملوا ساعات طوال لأنه يكون هناك العـديد من الحـفـلات التى تنتـهى فى وقت مـتـأخـر من الليل. وليس من المسـتـغـرب أن ينتظر السـائق والحصـان لساعـات تحت المطر المنهمر أو البرد القارس فى انتظار الناس حتى ينتهوا من إحتفالاتهم.

كان لدينا الكثير من العمل فى أسبوع الكريسماس بينما لم يكن جيرى على مايرام؛ فقد أصيب بسعال شديد. كانت بولى قلقة بشأن حالته الصحية فكانت دائما تنتظر عودتنا للبيت مهما تأخرنا.





فى الساعة التاسعة من مساء ليلة رأس السنة كان علينا أن نأخذ رجلين محترمين يبدو عليهما حسن المظهر إلى منزل فى أحد ميادين المدينة. قال الرجلان أننا يجب أن نعود لنصطحبهما في الساعة الحادية عشرة، لكن لأنهما مدعوان إلى حفل فقد يتأخرا بضع دقائق وعلينا أن ننتظرهما.

وعندما دقت الساعة الحادية عشرة كنا بالباب. وكنا نسمع دقات الساعة كل خمس عشرة دقيقة حتى منتصف الليل، لكنهما لم يخرجا بعد.

هبت ريح باردة وتساقط الثلج على وجوهنا فنزل جيرى من العربة وجذب بطانيتى لتغطى عنقى. لم يكن هناك مكان نلوذ به من الرياح الثلجية ولا من البرد الشديد والمطر، وأصبح جيرى الآن يسعل إلى درجة سيئة.

أخيرا خرج الرجلان من المنزل فى حوالى الواحدة والربع، وبعد أن أخبرا جيرى بوجهتهما ركبا العربة. كنت أخشى أننى قد أسقط لأننى لم أكن أشعر بسيقانى من شدة البرد، لكننا وصلنا إلى المكان الذى نقصده بأمان. لم يعتذر هذان الرجلان عن أنهما تركانا ننتظر، بل فى الواقع كانا فى غاية الضيق لأنهما اضطرا لدفع المزيد من النقود لجيرى مقابل الانتظار الطويل.



كان جيرى بالكاد قادرا على الكلام عندما وصلنا إلى البيت وأصبح سعاله أسوأ كثيرا. رأيت أن بولى كانت شديدة القلق عليه لكنها لم تقل شيئا. وعلى الرغم من أن جيرى كان متعبا جدا إلا أنه مسح جسمى وأعطانى بعض الطعام الدافىء وأراحنى قدر ماستطاع.

وعندما طلع الصباح، كان ابن جيرى هو الذى جاء إلى الاسطبل وقام بتنظيفنا واطعامنا. وكان بمقدورى أن استشعر أن هناك شيئا ماليس على مايرام لأنه كان صامتا تماما. ثم جاءت بولى إلى الاسطبل فى وقت متأخر من ذلك اليوم وكانت تبكى وهى تتحدث إلى أولادها. سمعتها تقول أن جيرى مريض بدرجة خطيرة وأنه من المحتمل أن يموت.

كنا ننتظر أخباره بقلق، وبعد مضى أسبوع سمعت بولى تقول ان جيرى قد تخطى مرحلة الخطر. وبمرور الأيام تحسنت صحة جيرى لكن الطبيب قال له أنه من المستحيل أن يعود للعمل على الحنطور مرة ثانية. بعد هذا مباشرة وصل خطاب لجيرى وبولى من صديقة عزيزة تعيش فى الريف. لقد كتبت تقول انه يمكنهما الحصول على كوخ خال بالقرب من بيتها، وأنه يمكن لجيرى أن يعمل حوذيا لديها. كما أن الأولاد سوف يذهبون إلى المدرسة القريبة.

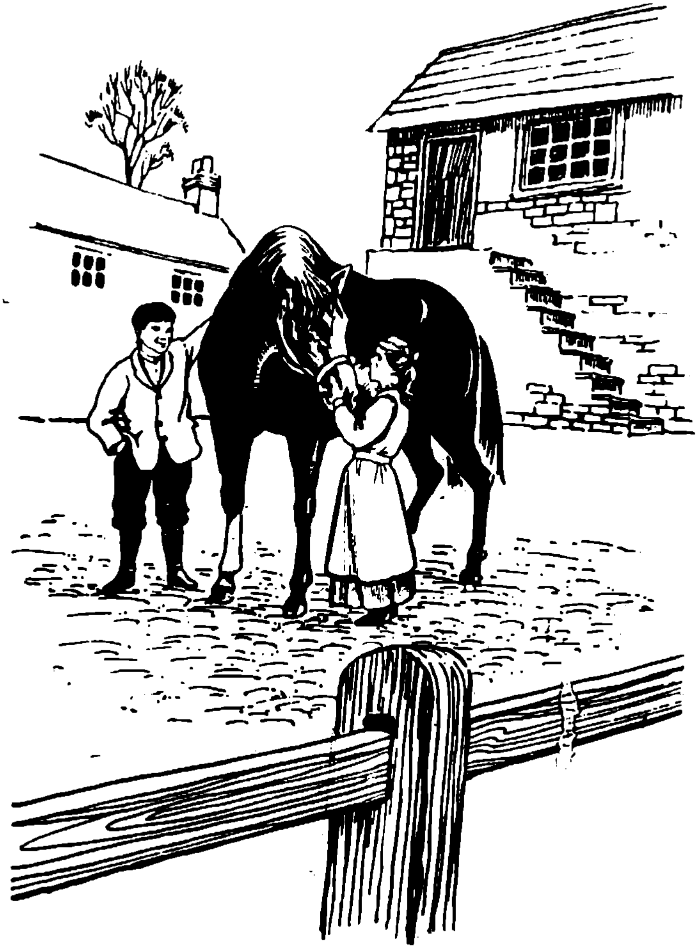


بعد أن تحدثا فى الأمر قليلا، قررا أنهما يجب أن ينتقلا إلى الريف بمجرد أن يصبح جيرى بحالة تسمح له بالانتقال. وأن العربة والخير يجب أن تباع بأسرع مايمكن.

كنت حزينا جدا لسماع هذا الخبر لأننى كنت أحب بيتى وسيدى. اننى أتقدم فى العمر، وعلى الرغم من أنه كان من الصعب على أن أصبح حصان حنطور إلا أننى كنت أعلم أننى أجدت عملى.

لم يتركنى جيرى لأباع للعمل على الحناطير. لكنه قرر ذهابى مع صديق عزيز من أصدقائه ليجد بيتا جديدا لى.

وعندما حل وقت رحيلى لم أرجيرى لأنه لم يكن مسموحا له بالخروج بعد. لكن بوللى جاءت مع الأطفال لوداعى، وهمست بكلمات رقيقة وهى تربت على. قالت أنها كانت تتمنى أن أذهب معهم ثم بعد دقائق قليلة أحاطت عنقى بذراعيها وقبلتنى. بينما اقتادونى إلى بيتى الجديد كنت مازلت أشعر بلمستها الحانية.

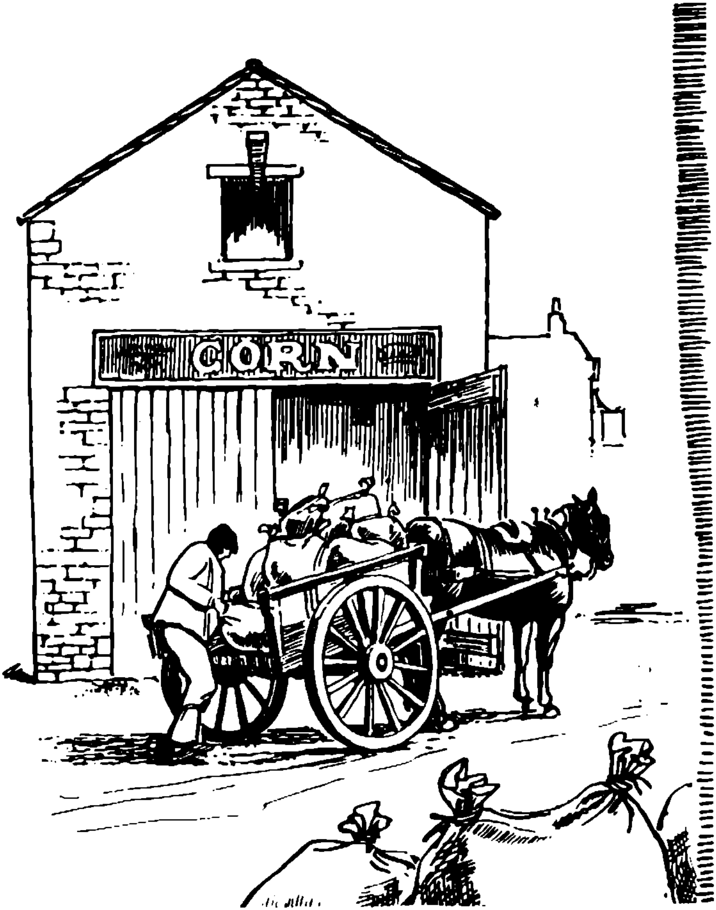


الفصل السادس والعشرون

أحمال ثقيلة، وازداد وهنا وضعفا

كان سيدى الجديد خبازا وتاجر ذرة يعرفة جيرى وكان يعتقد أننى سأحظى ببيت مريح وأن عملى لن يكون شاقا. كان من الممكن أن يكون الحال كذلك، لكن للأسف لم يكن سيدى الجديد موجودا طوال الوقت ليراقب رجاله. كان رئيس العمال بالاسطبل دائم الصراخ مندفعا ويجبر الجميع أن يعملوا بمزيد من الجد والسرعة. فى كثير من الأوقات كان يحملنى بأحمال ثقيلة ليس من السهل على أن أجرها بيسر. أخبره جيكس بأن هذا كثير بالنسبة لى لكنه لم يأخذ كلام جيكس فى اعتباره لأنه مجرد عامل.

تحتم على أن أرتدى اللجام الكابح مرة أخرى فى هذه الوظيفة الجديدة وبدأت أفقد قوتى بعد حوالى أربعة شهور.


CORN

ذات يوم حملت بأثقال أكثر من المعتاد، وكنا على طريق به مرتفعات شديدة الانحدار. جذبت العربة بكل قوتى وأنا أحاول ارتقاء التل لكنه كان من المستحيل وكان لابد لى أن أستريح. غضب جيكس وبدأ يصرخ.

صاح جيكس: «واصل السير، تقدم، أنت أيها الحصان الكسول، وإلا ضربتك بسوطى!»

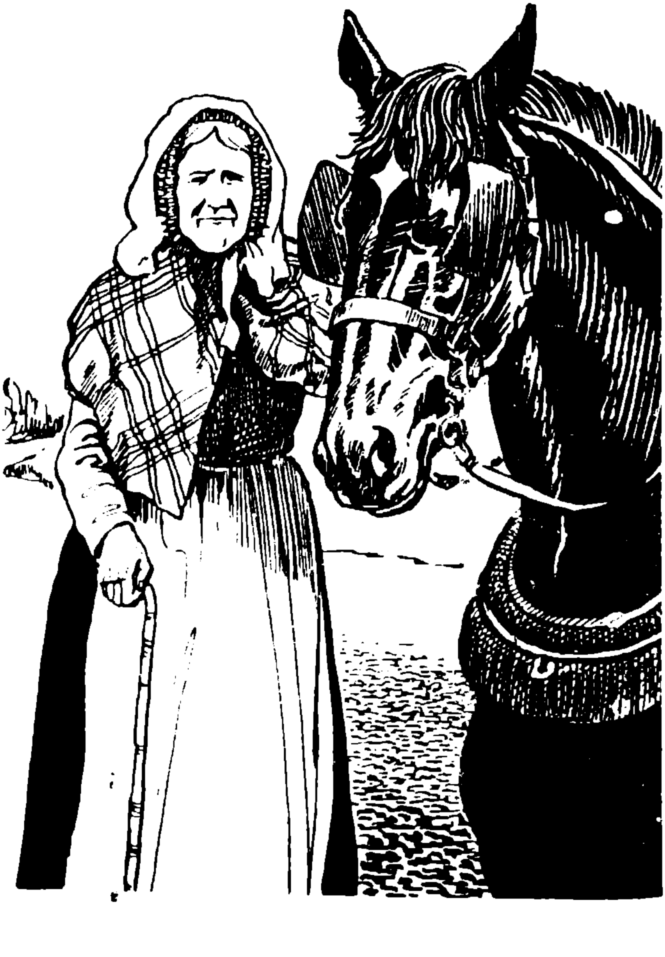
ثم بدأ يضربنى. مرة بعد أخرى كنت أشعر بضربة السوط الحادة تمزق لحمى الرقيق، وفى اللحظة التى بدأت أفكر فيها أننى لم أعد أحتمل ذلك بعد الآن، **قال صوت امرأة:**

«توقف عن ذلك فورا أرجوك! لاتؤذ حصانك الرائع مرة أخرى. ألا ترى أنه يبذل قصارى جهده من أجلك؟ أنه لايستطيع استغلال كل وزنه مقابل الزمام بينما يضع هذا اللجام الكابح»

لحسن حظى، عمل جيكس بنصيحة السيدة العجوز وحل زمامى. الآن وقد أصبح من الممكن أن أحرك رأسى لأسفل استخدم كل قوتى وبشدة واحدة قوية، نجحت أن أجذب الحمل لأعلى قمة التل.

ثم عبرت المرأة العجوز الطريق وجاءت إلى، وربتت على وجهى وعنقى فكان جميلا أن ألقى معاملة طيبة مرة أخرى.





وقالت لجيكس أنه لايجب أبدا أن ينسى كم هو عسير على حصان أن يجر مثل هذا الحمل الثقيل لأعلى التل وهو يضع اللجام الكابح ولاينبغي عليه أن يستخدمه أبدا بعد الآن. أو مأ لها جيكس ومنذ ذلك اليوم كان دائما يضع لي اللجام الرخو. لكن أحمالي كانت ماتزال ثقيلة بالنسبة لي وقد أصبحت أكثر ضعفا بمرور الأيام.

وبعد انتهاء عملي اليومي كنت أوضع في اسطبل لايدخله ضوء النهار وهو مادمر بصري تقريبا. وكنت أزداد بؤسا ويأسا كل يوم.

الفصل السابع والعشرون

بؤس ومعاناة فوق الاحتمال

كلما ازددت اكتئابا كلما تدهورت صحتى وقوتى، ولم يمض وقت طويل حتى باعنى سيدى مرة أخرى. فقد أصبحت ضعيفا جدا للقيام بنصيبى من العمل الشاق.

كان سيدى الجديد صاحب عربات حنطور. كان رجلا فظا اسمه نيكولاس سكينر. وكانت ترتسم على وجهه نظرة شريرة، وله أنف معقوف وعينان سودوان وفمه ملتو غير مبتسم. عندما تكلم كان صوته فظا عاليا.

يقول الناس عادة ان النظر لا يكذب، لكن بالنسبة للحصان فانه يجب أن يكون الاحساس لا يكذب.

حتى هذا الوقت فى حياتى لم أكن قد عرفت مدى البؤس الشديد والمعاناة التى يكون على حصان الحنطور أن يحتملها.



كان نيكولاس سكينر مالكا للعديد من العربات القديمة التى يسوقها رجال فى غاية البؤس. كان الرجال قساة مع الخيول لأن سكينر كان قاسيا معهم. كانوا يجعلوننا نعمل كل يوم فى شمس الصيف الحارقة ولم تكن هناك راحة يوم الأحد.

وبين الحين والآخر كان بعض الرجال يأتون صباح يوم الأحد وكان على أن أصحبهم فى جولة فى الريف. وكانوا دائما يقولون للسائق أن يجعلنى أعدو صعودا وهبوطا على التلال المنحدرة بأقصى ما أستطيع من سرعة. فى نهاية تلك الجولات كنت دائما أشعر بارهاق شديد لدرجة أننى لاأستطيع أن آكل بل ألتقط بعض الطعام فحسب، كم تمنيت لو أن جيرى كان موجودا ليعطينى بعض النخالة المجروشة اللذيذة! وفكرت أيضا كيف أن عملى سوف يصبح أسهل كثيرا إذا حظيت براحة يوم الأحد. لكن لم تكن هناك أيام راحة ولا طعام مغذ فى هذا المكان.

كان لدى سائق قاس مثل سكينر تماما. فكان دائما يجعلنى أنزف دما عندما يضربنى بسوطه الآثم وأحيانا كان يضرب رأسى وينقرنى بالسوط أسفل بطنى. مثل هذه المعاملة جعلتنى أشعر أن الحياة لاتستحق أن أعيشها. تذكرت أيامى



مع جيرى وأسرته وكنت أفتقد رعايتهم الرقيقة وعطفهم. لكن فى هذا المكان، لم يكن هناك أحد يهتم بمشاعرى بل كانوا يعاملوننى كما لو كنت آلة.

وأصبحت حياتى فى غاية البؤس لدرجة أننى كنت كثيرا ما أتذكر المسكينة جينجر، وتمنيت أنا أيضا الموت، وهو ماكاد أن يتحقق.

وفى هذا اليوم بالذات بدأت عملى فى الثامنة صباحا. كنت قد قمت بعدة رحلات عندما طلب رجل أن نصحبه إلى محطة السكة الحديد.. أو صلناه إلى المحطة فى وقت مناسب لموعد القطار ثم انتظرنا هناك لأن سائقى كان يعتقد أننا يمكننا الحصول على مزيد من العمل.

بعد لحظات جاءت الينا أسرة من أربعة أفراد؛ كانوا يريدون الذهاب إلى المدينة بكل امتعتهم الثقيلة. بينما كان الأب يحمل الأمتعة على العربة أتت فتاة صغيرة نحوى ثم نادت:

«أبى، تعال وانظر إلى هذا الحصان المسكين. أنه يبدو متهالكا وأنا واثقة من أنه أضعف من أن يأخذنا نحن وكل أمتعتنا»





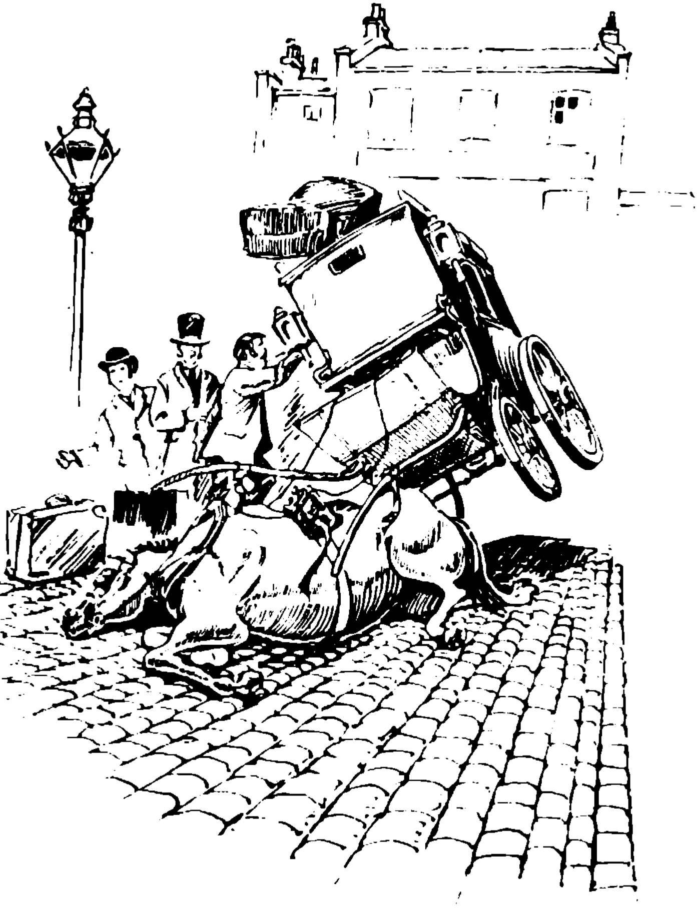
قال سائقى: «انه أقوى كثيرا مما يبدو، لاتزعجى نفسك بشأنه ياآنسة»

تردد والد الفتاة، لكن سائقى كان متلهفا للحصول على الأجرة فبدأ يحمل العربة بالحقائب الثقيلة أولا ثم كدس المزيد من الحقائب حتى أنهكت مشدات العربة.

كنت قد خرجت للعمل منذ وقت مبكر من ذاك الصباح ولم أسترح أو آكل شيئا لكننى حاولت أقصى مافى وسعى لأجر هذا الحمل الثقيل على الرغم من كل مافعله البشر بى من آثام.

كنت أعمل بمستوى مقبول إلى حد كبير حتى وصلنا إلى تل منحدر فكان ذلك صعبا على. كنت مجهدا لكننى كنت أقاوم لأستمر فى السير بينما كان سائقى يضربنى بسوطه القاسى. فجأة، شعرت أن أقدامى تنزلق تحتى وسقطت على الأرض. لقد خارت كل قواى ورقدت بلا حراك. ظننت أننى سوف أموت. كان هناك ضجيج وفوضى حولى وكان باستطاعتى أن أسمع أصواتا غاضبة بينما يفرغون العربة. وسمعت طفلا يقول:

«أنه خطؤنا نحن! ذلك الحصان المسكين! ماذا فعلنا به؟»



بدا ذلك كله كالحلم. لكننى كنت أشعر بشخص مايحل سرجى ولجامى. ثم قال صوت:

«أعتقد أنه مات، ولن يقوم ثانية» كنت ألهث لأتنفس ولم أفتح عينى، لكننى سمعت شرطيا يخبر الآخرين بما يفعلونه.

صب شخص بعض السوائل فى حلقى بينما قام آخر برش الماء على رأسى ثم فردوا على بطانية وأنا راقد على أرض الشارع الباردة الصلبة.

وبعد فترة بدأت أفيق. كان هناك رجل بجانبى يطيب خاطرى ويشجعنى على النهوض. حاولت مرة أو مرتين ثم تحاملت علي أقدامى ووقفت أرتجف. عندما أصبحت أكثر ثباتا أخذونى إلى اسطبل قريب لأستريح وآكل بعض الطعام الدافىء.

فى هذا المساء كنت بحالة تسمح لى بالعودة إلى اسطبلات سكينر، الذى جاء فى الصباح التالى ليرانى.

قال سكينر: «هذا الحصان قد انتهى. انه يحتاج إلى ستة شهور راحة حتى يستطيع العمل مرة أخرى. لكننى لن أضيع الوقت والمال على حصان مريض. سوف أبيعه لأعلى ثمن،



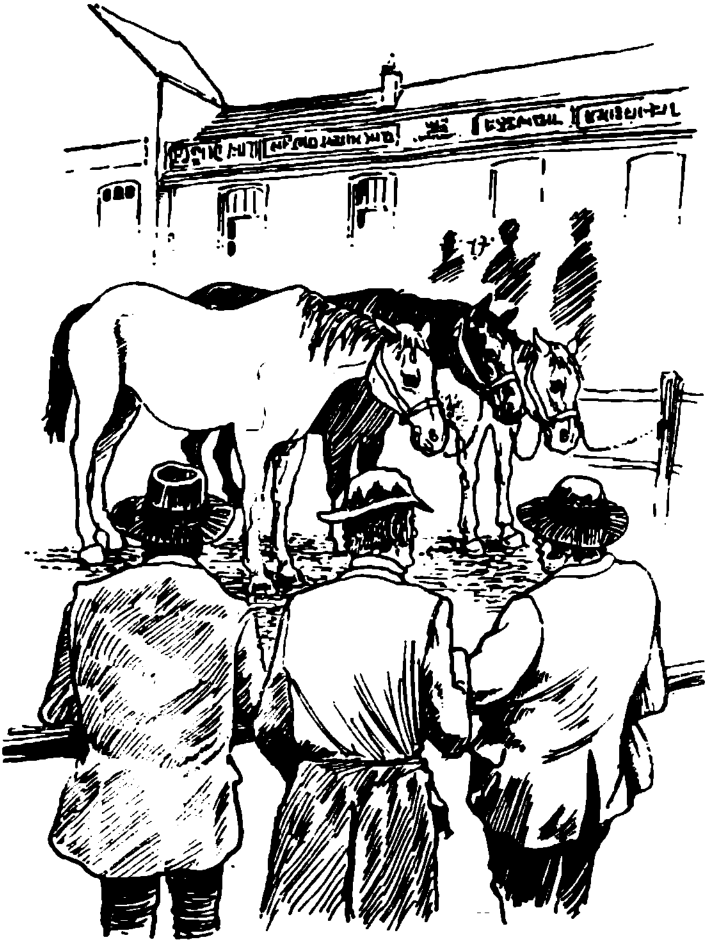
قدموا لى طعاما وفيرا واسترحت لمدة عشرة أيام. فقد كان مستر سكينر يريدنى أن أبدو فى أفضل حالاتى فى سوق الخيول.

الفصل الثامن والعشرون

المزارع ثور وجود وحفيده ينقذانى

فى السوق، وضعت بين الكثير من الخيول المريضة الأخرى. كان بعضها كبيرا فى السن فحسب، بينما كان البعض الآخر يعرج أو مقطوع النفس. وكان البعض فى حالة سيئة للغاية حتى أنه قد يكون أرحم به أن يضرب بالرصاص.

كان هناك حشد من الباعة والمشترين الفقراء. وكان البعض يحاول أن يجد مشترين لحيواناتهم المتهالكة، والبعض يحاول أن يشترى حصانا أو سيسى تقريبا بلاثمن. كان هؤلاء رجال قساة، قسى عليهم الزمن فأصبحوا قساة! شعرت بالخوف وكم تمنيت أن أسمع صوتا ودودا مرة أخرى.



وعندما نظرت حولى رأيت صبيا يقف بجوار رجل يبدو أنه مزارع. كانت أكتاف الرجل محنية، لكن ظهره كان عريضا، ويرتدى قبعة كبيرة. كان له وجه طيب. ورأيت عينيه تلمعان عندما رآنى. رفعت رأسى ونصبت أذنى وأنا أنظر إليه.

قال المزارع: «اسمع ياويلى، اننى أستطيع أن أقول ياولدى أن هذا الحصان عاش أياما أفضل. لابد أنه كان شيئا خاصا جدا فى شبابه»

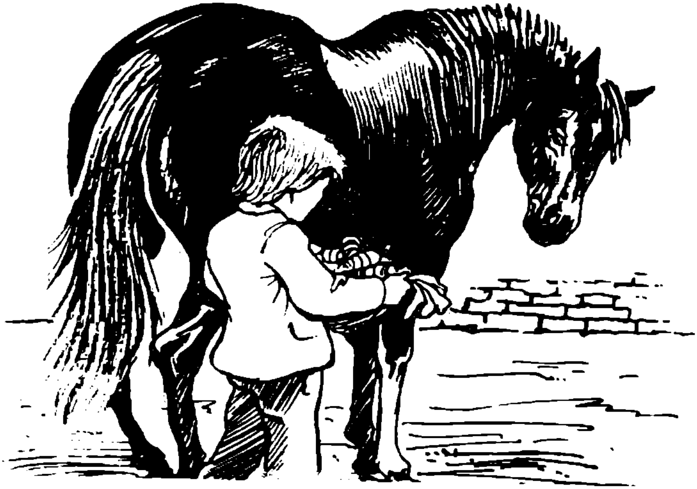
ربت على عنقى بعطف ورقة، فمددت أنفى نحوه. مسح الصبى وجهى وقال:

«أنظر ياجدى، أنت ترى أن العجوز المسكين يفهم العطف. لقد أعدت إلى ليدى بيرد شبابها وبمقدورك أن تفعل نفس الشىء معه. أرجوك قل انك سوف تشتريه».

رد الجد: «ليدى بيرد لم تكن كبيرة، لقد أسىء استخدامها وكانت على وشك التدهور».

لكن الصبى أصر على رأيه وقال ربما لا أكون عجوزا أنا أيضا، وربما أننى مجهد فقط وكل ماأحتاج إليه فترة راحة طويلة.





ابتسم المزارع للصبى ومر بيده على سيقانى ليفحص حالتها. كانت سيقانى ماتزال متعبة ومتورمة. ثم نظر إلى أسنانى فأدرك أننى لم أكن عجوزا. وتم بيعى فى مقابل مبلغ ضئيل من النقود واقتادنى الصبى وجده خارج السوق.

كان جد ويلى مزارعا يدعى مستر ثروجود. قال ان ويلى سيتولى رعايتى. كان يأتينى بالشوفان والتبن كل صباح ومساء، وأثناء النهار يأخذنى إلى الحقل حيث تنمو الحشائش النضرة. وكان ويلى يعطينى الجزر ويقضى ساعات بجانبى يربت على ويمسح جسمى.

بدأت أتحسن. شفيت سيقانى وفى منتصف الربيع كنت قادرا أن أصحب ويلى ومستر ثروجود إلى البلدة فى عربتهم الأنيقة. كانا سعيدين وفخورين بى، وتحدثا عن مستقبلى وأنه ينبغى أن يجدا بيتا ملائما لى حيث أكون دائما محل حب وتقدير.

الفصل التاسع والعشرون

البيت السعيد

حل الصيف، وذات يوم بذل السائس مزيدا من العناية وهو ينظفني ويمشطني. كان جلدى يلمع فى ضوء الشمس وكنت أعرف أننى أبدو فى أفضل حالاتى. وشعرت أن حياتى توشك أن تتغير. كان ويلى يتكلم بحماس عندما ركب هو وجده العربة فقال:

«أنا متأكد أن السيدات سوف يعجبن به، واذا حدث ذلك سوف يكن سعيدات وكذلك سوف يكون هذا الحصان الشجاع سعيدا أيضا»

بعد أن قطعنا حوالى ميلين وصلنا إلى منزل صغير بجوار بعض الأشجار. قفز ويلى من العربة ودق الجرس. انفتح



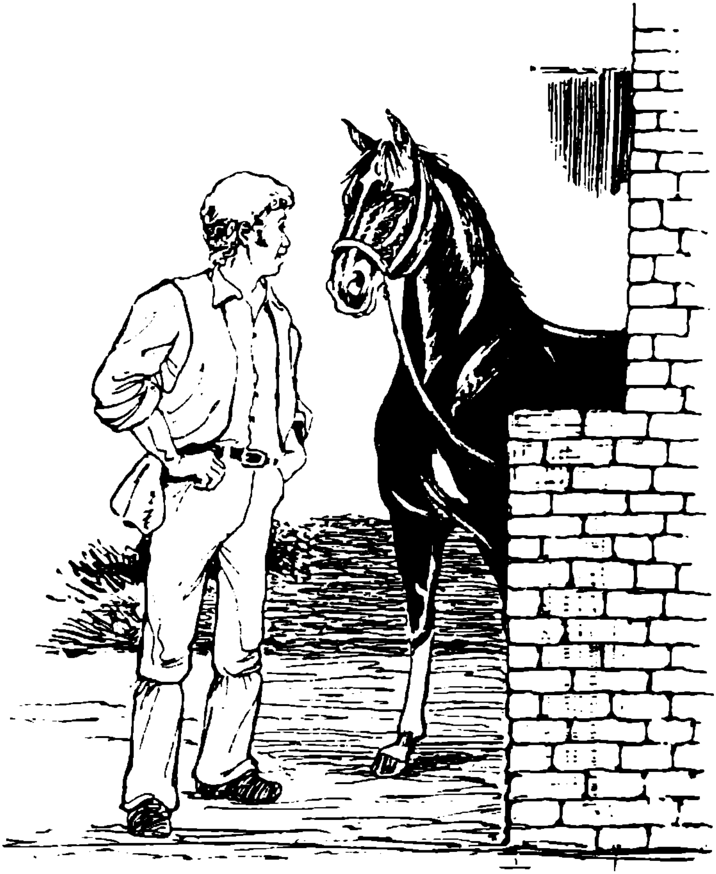
الباب وخرجت ثلاث سيدات. كن مبتسمات وبدا عليهن الابتهاج لرؤيتى. قالت إحدى السيدات بمجرد أن رأتنى أنها شديدة الاعجاب بى. كان اسمها الانسة إلين. سألن الكثير من الأسئلة عنى وأخبرهن مستر ثروجود بكل شيء عن سوء المعاملة والعمل الشاق الذى عانيته. وقال اننى الآن فى حالة ممتازة وأن كل ماأحتاج إليه هو بيت أعامل فيه بحب وعطف. تحدثوا فى أمرى ثم قررت السيدات أن أبقى لفترة تجريبية ليرين كيف تسير الأمور. احتضننى ويلى وجده وربتا على وهما يودعاننى،

أخذونى إلى الاسطبل الجديد وقدموا لى بعض الطعام الدافىء. وجاء سائس وقف بجانبى وحملق فى.

قال السائس: «كان لدى بلاك بيوتى غرة على وجهه مثلك أيها الرفيق العجوز، وكان فى نفس ارتفاعك»

كانت هناك علامة فى عنقى من أثر حقنة كنت قد أخذتها منذ عدة سنوات مضت. **عندما رأى ذلك بدأ يتمتم لنفسه فى دهشة:**

«الغرة البيضاء على الوجه، والبقعة البيضاء على الظهر واحدى الأقدام. لابد وأنك بلاك بيوتى! أنا جو جرين. هل





تذكر ذلك الصبى الذى كاد يقتلك منذ سنوات عندما نسى أن يغطيك بالبطانية فى تلك الليلة القارسة البرودة؟»

احتضننى جو وربت على وشعرت بأمان وسعادة فلمست وجنته بأنفى لأعبر عن أننا أصدقاء. كان جو فى غاية الابتهاج.

بعد ذلك كنا نخرج كل يوم تقريبا لأن الآنسة الين وأختيها أحببن ركوب العربة معى. اننى فى هذا المكان الرائع منذ عام الآن، وان جو هو أفضل سائس عرفته أبدا وأكثر من اهتم بشئونى. كان ويلى وجده يأتيان كثيرا للاطمئنان على وقد وعدت الأخوات الثلاث أننى لن أباع أبدا. انتهت كل متاعبى وأخيرا أصبحت فى بيتى.

«تمت»